عن الزمن النحوى فى العربية

دكتور

ياسين احمد عيسى

قسم اللغة العربية

كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى

عن الزمن النحوى فى العربية

تعد قضية الزمن النحوى من القضايا الهامة التى لاقت عناية العلماء قديما وحديثا ، ويبدو ذلك جليا فى مباحث النحاة فى مختلف العصور ، ذلك لأنها تتدخل فى تحديد الشكل والإعراب والدلالة في التراكيب النحوية .

ولقد كانت ومازالت فكرة الزمن النحوى من المعضلات اللغوية التى يصعب الوصول فيها إلى قول قاطع ، وذلك فى سائر اللغات ، والعربية أكثر صعوبة فى دراسة الزمن النحوى ، لأن التراث اللغوى قد استقر على وصف الزمن النحوى موافقا للزمان الفلسفى ، لذا رأيت أن أتعرف على أبعاد هذه الفكرة من خلال آراء القدماء والمحدثين ، لعلى أصل إلى وصف لها محددا أبعادها مستعينا بالاستعمال اللغوى ، ونظرية سياق الحال Context of sitiudtion لدى المحدثين ، ودورها فى تحديد الزمن النحوى .

وعرضت فى هذا البحث لدور الزمن النحوى فى تحديد شكل التركيب فى أخبار النواسخ الفعلية (كان وأخواتها) ، و (أفعال المقاربة) ، وفى باب الحال ، وعرضت أيضا لدوره فى الإعراب ، كإعمال اسم الفاعل ، واسم (المفعول) وفى اشتغال العامل عن المعمول إذا كان وصفا ، وفى نون التوكيد ، وفى نواصب المضارع وعرضت كذلك للدلالة التى تعرف من الزمن النحوى مستفيدا من آراء القدماء فيما يعرف بالقرائن المحددة للمعنى ، أو مقتضى الحال ، أو المقام ، تلك المصطلحات التى تقترب فى المفهوم مما يعرف لدى المحدثين بسياق الحال .

نحاة العربية والزمن النحوى :

يقول سيبويه : « وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع[1] » ، ويوضح السيرافى هذا النص ، ويقول : « أعلم أن سيبويه ومن نحا نحوه يقسم الفعل على ثلاثة أقسام : ماض ، ومستقبل ، وكائن فى وقت النطق ، وهو الزمن الذى يقال عليه الآن الفاصل

(١) الكتاب سيبويه ، ١ : ص ١٢ .

بين ما مضى ويمضى ، وأما الماضى فيختص مثالا واحد ، والحال والمستقبل الذى ليس بأمر يختصان بناء واحدا ، إلا أنه يدخل عليه حرف يخلص له الاستقبال ، وهو سوف والسين »[1] .

أقسام الفعل فى النحو العربى :

للفعل عند نحاة البصرة أقسام ثلاثة : الماضى ، والمضارع ، والأمر ، وتقسيمهم هذا يرجع إلى دلالة الصيغة على الزمن فى القسم الأول ، والمشابهة الشكلية بين اسم الفاعل والفعل فى القسم الثانى ، والجانب الدلالى فى القسم الثالث .

ونحاة الكوفة اقتصروا على نوعين : الماضى ، والمضارع ، والأمر عندهم جزء من المضارع ، فقد رأوا أنه مقتضب من المضارع ، وذلك نحو : اكتب ، فأصله ؛ ليكتب ، ويكون الإعراب الكوفى فى : (اكتب) فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، والتقدير : ليكتب ، وعلى هذا فالفعل عند نحاة البصرة مبنى على السكون ، وعند الآخرين معرب مجزوم بلام مقدرة ، وواضح أن نحاة الكوفة مدفوعون فى رأيهم بمراعاة الجانب الدلالى ، فالصيغتان كلتاهما فى معنى الأمر .

والفراء الإمام الثانى للمدرسة الكوفية بعد الكسائى ، والمؤسس الحقيقى لنواة المدرسة الكوفية فى النحو العربى أضاف قسما آخر للفعل سماه الفعل الدائم ، وقصد به اسم الفاعل[2] » وقد تردد فى كتابه (معانى القرآن) مصطلح الفعل المقصود به اسم الفاعل[3] ونظرته فى هذا الاصطلاح اتجهت للجانب الدلالى فى اسم الفاعل ، وهو إفادته للحدث المستمر .

والأمنة عند الفراء تشمل الماضى ، والمستقبل ، والدائم[4] .

أى الأفعال أقدم رتبة ؟

أجاب على ذلك السؤال السيرافى قائلا : « فإن سأل فقال : أى الأفعال أقدم رتبة ؟ فإن لأصحابه فى ذلك قولين :

(١) شرح كتاب سيبويه ، السيرافى ، ١ : ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) معانى القرآن ، الفراء ، ١ : ص ١٦٥ .

(٣) السابق ، ١ : ٤٣ ، ٥٥ ، ٤٢٠ ، ٣ ، ١٠٥ ، ٢٠٨ .

(٤) السابق ، ١ : ص ١٣٣ ، ١٦٥ .

أحدهما : المستقبل أول الأفعال ثم الحال ثم الماضى ، وهذا شئ كان يذهب إليه الزجاج وغيره ، والحجة فيه أن الأفعال المستقبلة تقع بها العدات ، ثم توجد بعد تقدم الميعاد ، وانتظار الموعود ، فيكون حالا ، ثم يأتى عليه غير زمان موجوده ، فيكون ماضياً .

والقول الثانى : أن الحال هو أول الأفعال ، وكون الأقرب إليه فى الترتيب المستقبل ، وتاليه الماضى ، والحجة فى ذلك أما الميعاد فيما يستقبل لا يصح إلا بما عرف وشوهد[1] » .

واختار ابن هشام تقدم زمن المستقبل على الزمن الماضى حيث يقول فى مغنى اللبيب فى مبحث (لو) : « ولهذا قالوا : الشرط بأن سابق على الشرط بلو ، وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضى ، عكس ما يتوهم المبتدئون ، ألا ترى أن تقول : «إن جئتنى غدا أكرمتك » ، فإذا انقضى الغد لم يجئ قلت : « لو جئتنى أمس أكرمتك»[2] .

وينقل السيوطى آراء العلماء فى تلك المسألة على ثلاثة أقوال : الأكثرون يذهبون إلى أن أصل الأفعال الحال ، ومنهم من يرى أن الأصل المستقبل ، ومنهم من يرى أن الماضى هو أصل الأفعال »[3] .

وبعد آراء العلماء فى قضية الزمن المتقدم والزمن اللاحق أقول : إن هذه القضية من الصعوبة بمكان أن يؤخذ فيها برأى قاطع ، ذلك لأن الأزمنة متصلة بعضها ببعض ، وهذه القضية تذكرنا بقوله تعالى : ﴿ **وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ يس / ٤٠ ، وعلى أى حال فبحثهم فى الزمن يرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل ، فمن يرى أن الزمن الماضى هو الأصل له أن يقول : إن الفعل الماضى أصل للمضارع والأمر فى الصياغة ، ومن يذهب إلى أن الحال والاستقبال له أن يقول : إن المضارع والأمر أصل للماضى فى الصيغة ، ولذلك نجد السيرافى فى حديثه عن تلك القضية يقول : أى الأفعال أقدم رتبة ؟ واستفهام السيرافى هذا يؤيد فكرتهم عن الفعل بأنه الحدث والزمن . وهذه القضية (قضية الزمن) تجرى فى أسس القواعد فى الدرس

(١) شرح كتاب سيبويه ، السيرافى ، ١ : ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) معنى اللبيب ، ابن هشام ، ١ : ص ٢٥٦ .

(٣) الأشباه والنظائر ، السيوطى ، ٢ : ص ١٠ .

النحوى وهو الأصل والفرع الـتى دار عليها جدل النحاة فى أحكام نحـوية شتى تعرضنا لذكرها فى بحثنا عن دور الفكر الإسلامى فى اختيار المصطلح النحوى .

ومهما يكن من شئ فـهذه القضية وما شاكلها من الصعوبة بمـكان أن يتوصل فيها إلى رأى قاطع ، وستظل قضية خلافية ، ومهما يكن من شئ فهذه المباحث وما شاكلها من البحـوث النحوية واللغـوية تدل على نضج الفـكر الإسلامى الذى يبحـث فى عمق القضـايا ولا يكتفى بـظاهرها . ولا يقف عـند الوصف لها بـل يحاول أن يتفهـم كنه المسائل وأبعادها .

والآن نعرض لدور الزمن فى الدرس النحوى ، وسنتناول ذلك فى مبحثين :

١) دور الزمن النحوى فى التركيب من حيث الشكل والدلالة والإعراب .

٢) الزمن النحوى وسياق الحال .

أولاً : دور الزمن النحوى فى التركيب من حيث الشكل والدلالة والإعراب:

الأصل فـى منهج الـدرس النحوى لـدى العرب أن يـكون وصفيـا لاعتماده عـلى الاستقراء لـكلام العرب ، والمعياريـة فى ظنى لم تكـن إلا لتأييد الوصفـية فى الدرس النحوى ، فترى نحاة العرب يحاولون التعليل للمسائل النحوية ، والبحث عن العامل ، والإعراب والبناء ، وسائر مسائل النحو لتأييـد الشواهد العربية المسموعة ، فالحاصل إذاً هـو تقديم المـنهج الوصفى على المعيـارى عند نحـاة العرب ، وإن كان الـظاهـر خلاف ذلك .

والذى أود أن أوضحه هو أن بحث الـنحاة فى فكرة الزمن النحوى كان مـنبثقا من الاستعـمال اللغوى إلا أنه يـؤخذ عليهـم تحديد الزمن فـى ثلاثة أقسام ، والاستـعمال اللغوى يـرد هذا التحديد فـالمفهوم من الاستـعمال اللغوى أزمـنة كثيرة ، بيـد أن نحاة العربيـة لم يهتموا بالبـحث فى هذه الأنواع ذلك لأنهم قـد تركوا هذا التحديد لـلسياق اللغوى والقرائن اللفظية والحاليـة . وهذا لا يمنع من أنهم قد أدركوا دور الزمن النحوى فى مباحثهـم ، فاشترطوا فى تحديد التركـيب فى شكل معين لمراعاة التـوافق الزمنى فى الجمل التى تقابلهم ، وذلك على النحو التالى :

* **خبر كان** لا يأتى جملة إنـشائية ، ولا فرق فى المنعه بين الإنـشاء الطلبى ،

مثل : كان والدك احترمه ، وغير الطلبى مثل : كانت صحتى يحفظها الله [1] : فدلالة كان للماضى ، والفعل (احترم) ، و (يحفظ) للمستقبل ، فهذان التركيبان غير جائزين نحويا للتعارض الزمنى .

* **خبر كان وأخواتها (الفعل الماضى)** : وخلاف النحاة فى ذلك مشهور ، فالبصريون أجازوا ذلك فى خبر كان ، ودليلهم كثرة وروده فى القرآن الكريم الفصيح كثرة تبيح القياس عليه ، أما الكوفيون فيشترطون لصحته وجود (قد) قبله ، أما ابن درستورية فيذهب إلى أن الماضى لا يخبر لكان ، أما ابن مالك فقد جوز وقوع الخبر ماضيا إذ لا مانع من شيئين يفيدان معنى المضى[2] » .

أما أخبار أخوات كان : صار ، ليس ، مازال ، ما انفك ، ما برح ، ما فتى ، مادام ، فقد اتفق النحاة على عدم مجئ أخبارها بالفعل الماضى ، وسبب المنع النظر إلى التعارض فى دلالة الزمن بين الفعل الناسخ ، والماضى ، « فمنع مع صار وليس ما دام وكل ما كان ماضيا من مازال ولا زال ومرادفاتها ، أما صار فلكونها ظاهرة فى الانتقال فى الزمن الماضى إلى حال مستمرة ، وكذلك « مازال » وأخواتها موضوعة للاستمرار ، وأما (مادام) فلم يقع خبرها ماضيا ، لأن (ما) المفيدة للمدة تقلب الماضى فى الأغلب . إلى معنى الاستقبال ، فلهذا تقول : أجلس مادام زيد جالسا ، وأما (ليس) فهى للنفى مطلقا»[3] .

وابن يعيش تفرد بالرأى فى تجويزه لوقوع الماضى خبر الجميع أفعال الباب بدون تفريق ، فهو إذن قد توسع فى هذه المسألة غاية التوسع »[4] .

ورأى ابن يعيش يتوجه إلى أنه لا يشترط التعارض فى دلالة الزمن بين

(١) النحو الوافى ، عباس حسن ، ١ : ص ٥٤٦ ، شرح التصريح بمضمون التوضيح ، خالد الأزهرى ، ص ١ ، ١٨٤ .

(٢) شرح الكافية ، الرضى ، ١ : ص ٢٥٢ ، همع العوامع ، السيوطى ، ١ : ص ١٢٣ ، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، د: محمود عبد السلام شرف الدين ، ص ٣٧٩ ، وما بعدها .

(٣) شرح الكافية ، الرضى ، ١ : ص ٢٥٢ ، همع الهوامع ، السيوطى ، ١ : ص ١٢٣ ، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، د: محمود عبد السلام شرف الدين ، ص ٣٧٩ وما بعدها .

(٤) شرح المفصل ، ابن يعيش ، ٧ : ص ١١٤ ، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، د: محمود عبد السلام شرف الدين ، ص ٣٨١ .

عناصر الجملة ، وكأنه يسوى بينها فى الإعمال ، وفى شكل التركيب معها ، ورأيه مردود لأن السماع لا يؤيده ، والسماع يجرى مع ما أقره النحاه من اشتراط التوافق الزمنى بين الناسخ والخبر الفعلى . « وشرط الكوفيين هو اقتران الماضى بقد ظاهرة أو مقدرة ، لأن كان وأخواتها إنما دخلت على الجمل لتدل على الزمان ، فإن كان الخبر يعطى الزمان لم يحتج إليهما ألا ترى أن المفهوم من زيد قام ، وكان زيد قائما شئ واحد »[1] .

واشتراط الكوفيين وجود (قد) مع الماضى راجع إلى الفائدة الدلالية ، فقد تقرب زمن الماضى إلى الحال ، ويكون الماضى مع الناسخ (كان) بمعنى الماضى القريب من زمن الحال ، وإذا لم توجد (قد) ظاهرة أو مقدرة فالماضى قبل الماضى عندهم إطالة وتكثير ، وهذا لا يريد الكوفيون ، والبصريون نظروا إلى التوافق الدلالى للزمن النحوى ، فالناسخ (كان) يفيد الماضى ، وكذا الفعل الماضى ، ولا مشكلة فى ذلك ، وهو اختيار ابن مالك .

وابن درستويه يمنع مجئ الماضى خيرا للناسخ (كان) وواضح من رأيه أنه مدفوع إليه لوجود الماضى مع الماضى ، وليس له حجة فى ذلك ، فالسماع الكثير يرد ما ذهب إليه ، فمن ذلك قوله الله تعالى : ﴿ إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ يوسف / ٢٦ ، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ يوسف / ٢٦ ، ﴿ إن كُنتِ قُلْتُهُ ﴾ المائدة / ١١٦ ، ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ الممتحنة / ١ ، ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم﴾ الأنفال / ٤١ ، ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾ إبراهيم / ٤٤ ، والمشهور مجئ (إن) الشرطية فى التركيب النحوى لتدل على زمن المستقبل ، لذلك نجد النحاة يبحثون عن تخريج لهذه التراكيب الشرطية ، ويقولون : إن المعنى هنا : إن كان ثبت .... وعلى هذا يبقى معنى المضئ موجوداً مع خبر كان فى أسلوب الشرط ، أما قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾ ، فلم هنا قالبة لزمن المضارع إلى الزمن الماضى ، وجاء خبر الناسخ (الماضى فى المعنى) فعلا ماضيا ، وهذا موافق لمذهب جمهور النحاة .

وللإمام القرطبى رأى فى مجئ خبر ليس ليس ماضيا حيث يقول : « إن العرب لم تقل : ليس قمت ، فأما لست قمت بالتاء ، فشاذ قبيح ، خبيث ، ردئ ، لأن

(١) همع الهوامع ، السيوطى ، ١ : ص ١١٣ .

ليس لا تجحد أى لا تنفى الفعل الماضى ، ولم يوجد مثل هذا إلا فى قولهم : إن أليس قد خلق الله مثلهم ، وهو لغة شاذة »[1] .

« والكوفيون يذهبون إلى أن هذا التركيب يجوز أن يقاس عليه بتقدير (قد) مجاراة للمسموع »[2] ، ولنا فيما سبق تعليق ، فالقرطبى يظهر من حدثه أنه لا يجوز فجئ خبر ليس ماضيا بنقد يرقد ، ولا يغيرها ، أى لا يجوز مجيئه على الإطلاق ، وما ورد من ذلك فهو مخالف لصحة التركيب .

وهو من الشاذ القبيح الردئ الخبيث فى اللغة ، فالقرطبى أطلق المنع للخبر الماضى مع ليس . والكوفيون كما عهد منهم يتمسكون بالشاذ والقليل ويجعلونه أصلا وبابا يقاس عليه ، وقد فعلوا ذلك فى خبر ليس المذكور ، ونظرة نحاة الكوفة تتجه إلى التقارب الزمنى بين زمن الفعلين الناسخ ، والخبر ، فالناسخ (ليس) النفى الحال ، وقد تقرب الماضى إلى زمن الحال . وأظن أن الذى دفع إلى ذلك السماع أولا ، ثم نظرتهم لهذا التقارب الذى أشرت إليه .

* **خبر أفعال المقاربة** : يجئ خبر أفعال المقاربة فعلا مضارعا فى أفعال المقاربة ، والشروع والرجاء ، ولم يأت مفردا أو فعلا ماضويا إلا على الشذوذ وذلك مثل قول الشاعر :

فأبت إلى فهم وما كدت آيبا وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

وقول العرب فى المثل : « عسى الغوير أبؤسان ، والخبر من الفعل الماضى فى قول ابن عباس (رضي الله عنهما) : « فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا »[3] .

وللنحاة فى هذا تخريجات ، « فسيبويه جعل خبر (عسى) فى قولهم : عسى الغوير أبؤسا » مفردا ، وتابعه أبو على الفارسى ، وقاتل الكوفيون : خبر يكون محذوفه ، والتقدير : أن يكون أبؤسا ، وقال الأصمعى : خبر يصير محذوفة ، وقيل : مفعول به ، والتقدير : عسى الغوير يأتى بأيؤس ، فحذف الناصب والجار

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى ، ١ : ص ٥٩ .

(٢) النحو الوافى ، عباس حسن ، ١ : ص ٥٦٠ .

(٣) شرح ابن عقيل للألفية ، ١ : ص ١٨٨ ، شرح ابن الناظم للألفية ، ص ١٥٤ ، شرح التصريح بمضمون التوضيح ، خالد الأزهرى ، ١ : ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

توسعا ، وقال الموضح (ابن هشام) فى شرح الشواهد : الأحسن من ذلك كله أن تعدد ييأس أبؤسا ، فيكون مفعولا مطلقا علـى حد فطفق مسحا ، أى يمسح مسحا ، وقال فى المعنى : الصواب أنـه مما حذف فيه كان ، أى يكون أبؤسا لأن فى ذلك إبـقاء لها على الاستعمـال الأصلى ، وسبقه إلى ذلك ابـن جنى ، فقال فى البيـت : وما كدت أكون آيبا[1] .

وبعد هذا النـقل للنص المذكور أقول : إن النـحاة قد اختلفوا فى إعـراب المثل على اعتبار خبر (عسى) مفردا، وجملة، فسيبويه وأبو على الفارسى يذهبان إلى أن الخبر مفرد ، ليس بجملة ، على الشذوذ ، والكوفيون يجعلون القاعدة مطردة ، وهى مجئ أخبار أفعال المقاربة من الـفعل المضارع ، فقدروه بالفعـل يكون، وكذا فعل الأصمعى فقـدره بالفعل (يصير) ، وقيل : تقديره (يأتى) ، أو ييأس ، وهذا قول ابن هشام فى شرح الشواهد ، واختار أن يكـون الفعل الواقع فـى موضـع الخبر تقـديره : (يكون) موافقـا لرأى نحاة الكوفة ، وابن جنى قدر المحذوف فى بيت الشعر : فأبُت إلى فهم وما كدت أيبا . .

على حذف الخبر الجملة من الفعل المضارع ، أى يكون أيبا ،

والمختار عندى هـو مذهب الكوفيين لأن فيه إطـراد للاستعمال اللغـوى فى تركيب أفعال المقاربة حيث إن الاستعمال المطرد هو مجئ خبرها فعلا مضارعيا .

وكذا قدر النحاة فى قـوله تعالى : ﴿ فطفق مسحا بالـسوق والأعناق ﴾ حذف خبر طفق وجعلوه فعلا مضارعيا ، أى يمسح مسحا »[2] .

ويقول أبو البقاء العكبرى : « و (مسحا) مصدّر فى موضع الحال ، وقيل التقدير : يمسح مسحا »[3] . ويقول الآلوسى : « وطـفق من أفعال الشروع ، واسمهـا ضمير من سليمان ، و« مسحا مفعول مطلق لفـعل مقدر هو خبرها ، أى شرع يمسح مسحا لا حال مؤولا بماسحا ، كـما جوزه أبو البقاء ، إذ لابد لـطفق من الخبر ، وليس هـذا مما يسد الحال فيه مسده »[4] .

---

(١) شرح التصـريح بمضمون التوضيـح ، خالد الأزهرى ، ١ : ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، مغنى اللـبيب ، ابن هشام ١ : ص ١٥٢ .

(٢) شرح التصريح بمضمون التوضيح ، ١ : ص ٢٠٤ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ، العكبرى ، ص : ص ٢٠

(٤) روح المعانى ، الآلوسى ، ١٣ : ص ٢٨٢ .

والمختار عندى ما يذهب إليه الآلوسى حيث إن استعمال فعل الشروع (طفق) يرتبط بالاسم والخبر ، وخبره يجئ جملة من فعل مضارع .

وقول ابن عباس (رضي الله عنهما) فمن الشذوذ فى مجئ خبر (جعل) فعلا ماضويا ، والمطرد فى استعمال أفعال الشروع ، ومنها الفعل (جعل) أن يأتى خبرها فعلا مضارعيا .

وابن هشام يرى أن هذا التركيب من الشاذ ، حيث جاء الخبر فعلا ماضويا ، ويرد رأى ابن مالك الذى ذهب إلى أن الشذوذ جاء من تصدير إذا فى الجملة الفعلية ، وينقل ذلك صاحب شرح التصريح قائلا : « قال الموضح (ابن هشام) فى الحواشى : الصواب أن يقال أو جملة فعلية فعلها ماض ، فإن هذا هو محط الشذوذ ، وأما نفس إذا فلا وجه لكونها مرجعا للشذوذ ، ولهذا لم يقل أحد فيما علمنا أن قوله : وقد جعلت إذا ما قمت يثقلنى : ثوبى . . شاذ من جهة التصدير إذا ، وإنما جعلوا شذوذه من جهة رفع السببى خاصة »[1] .

وفى حاشية الشيخ يس : « وقال للقانى : إن قلت إذا ظرف لما يستقبل من الزمان لا يصح أن يكون عامله جعل ولا أرسل ، لأن كلا منهما ماض لفظا ومعنى ، ولو أول أرسل بمضارع كان حالا لا مستقبل ، إذ أفعال الشروع تستلزم كون أخبارها حاصلة حال المشروع ، قلت : الشروع إنما يلزم منه حالية الجزء الذى وقع به الشروع ، فيجوز اعتبار الاستقبال فيما عدا ذلك الجزء وظرفه .

والمختار عندى أن يؤول الماضى هنا بالمضارع أى يؤول أرسل بالفعل يرسل ، ويكون زمنه مع فعل الشروع للدلالة على زمن الحال ، وهذا الزمن لا يقتصر على الحاضر ، ولكنه يتصل ببعض من زمن المستقبل أو بداية المستقبل ، وعلي ذلك يمكن أن يعمل الفعل يرسل فى (إذا) الدالة على زمن المستقبل ، وكذا مع الفعل (جعل) فهذا الفعل ماض فى اللفظ لكنه معناه فى زمن الحال ، وهذا يكون بتركيبه مع خبره الفعل الماضى المؤول بالمضارع ، وعلى هذا فلا مشكلة فى إعمال أحد الفعلين فى إذا الظرفية الدالة على المستقبل . خبر أفعال المقاربة (المضارع) واقترانه بأن : قبل الحديث عن هذا المبحث أقول : إن أفعال المقاربة تشمل ثلاثة أقسام : أفعال المقاربة ، وأفعال الرجاء ، وأفعال الشروع . وسميت بأفعال المقاربة الأقسام الثلاثة على سبيل التغليب ، أى من باب تغليب أفعال المقاربة على أفعال الرجاء والشروع ، لأنه من الواضح اختلاف الدلالة

(١) شرح التصريح المضمون التوضيح ، خالد الأزهرى ، ١ : ص ٢٠٦ بتصرف .

فى كل قسم ، وفى ذلك يقول صاحب شرح التصريح خالد الأزهرى مع الموضح ابن هشام « هذا مجاز مرسل من باب تسميه الكل باسم الجزء كتسميتهم الكلام كلمة ، وكتسميتهم ربيئة القوم عينا »[1] .

وفى حاشية يس على شرح التصريح يذكر الشيخ يس رأى اللقانى الذى اختار أن تكون التسمية راجعة إلى التغليب كتسمية المركب كلمة ، وتسمية الأشياء المجتمعة من غير تركيب باسم بعض كالعمرين والقمرين ، ويرد الشيخ يس دعوى اللقانى بأن التعبير بأفعال المقاربة من باب التغليب ، ويقول : « ودعواه أن التعبير بأفعال المقاربة من التغليب لا يخلو عن حزازة ، لأن التغليب لابد له من علاقة ، وفى تحقيقها هنا خفاء إذ لا يظهر هنا شرف ولا خفة ، وذلك ظاهر ، ولا كثرة لأن أفعال الشروع أكثر ، ومن هنا يظهر أيضا التوقف فى كون المجاز مرسلا علاقته الكلية والجزئية لأن الشرط فى تلك العلاقة أن يكون لذلك الجزء من بين الأجزاء مزيد اختصاص بما قصد بالكل ، ويمكن أن يجاب بأن المقاربة حال وسطى بين الترجى والشروع فيصح المجاز والتغلب»[2] ، وواضح من كلام الشيخ يس أنه نظر إلى الترتيب الزمنى لهذه الأفعال ، فالترجى للمستقبل ، والشروع للحال مع امتداده للمستقبل ، والمقاربة لمقارنة للحال

لو نظرنا إلى زمن هذه الأفعال لوجدناها فى الترتيب الزمنى على النحو التالى :

أفعال المقاربة = مقاربة الحال ، أفعال الشروع = الحال ، أفعال الرجاء = المستقبل.

وبهذا نلاحظ تقدم أفعال المقاربة على أفعال الشروع والرجاء فى الترتيب الزمنى ، وأظن أن هذا التقدم هو الذى دفع النحاة إلى تسمية الباب بأفعال المقاربة على سبيل التغليب أو المجاز المرسل .

*** اقتران خبر أفعال المقاربة بأن :**

جاءت أقوال النحاة فى هذا الموضوع معتمدة على الشواهد النحوية ، والاستعمال اللغوى على النحو التالى :

(١) ما يجب تجرده من أن هو أفعال الشروع .

(٢) ما يجوز فيه الأمران ، والغالب الاقتران ، وهو عسى ، وأوشك .

(١) شرح التصريح بمضمون التوضيح ، خالد الأزهرى ، ١ : ص ٢٠٣ .

(٢) حاشية يس على شرح التصريح ، ١ : ص ٢٠٣ .

(٣) ما يجوز فيه الأمران ، والغالب التجرد ، وهو كاد وكرب .

ويعلل النحاة لاقتران المضارع بأن بقولهم : أفعال الشروع للحال ، وأن تفيد الاستقبال ، فالحال ينافى الاستقبال ، أما عسى فكثرة اقتران المضارع معها لأنها للمستقبل ، وأن تخلص الفعل لزمن الاستقبال ، فتوافق الفعلان زمنيا . يقول أبو على الفارسى : « والاختيار فى (كاد) أن لا يستعمل معها أن لمقاربة الحال ، وفى (عسى) أن يذكر معها (أن) لتراخيها عن الحال »[١] .

ويقول ابن الناظم : « وأما أفعال الشروع فلات يقترن الخبر بعدها بـ (أن) ، لأنها للإنشاء ، فخبرها حال ، فلا يجوز أن تصحبه (أن) لأنها لا تدخل على المضارع ، إلا مستقبلا .

ويقول صاحب شرح التصريح : « والغالب فى خبر (عسى) وخبر(أوشك) الاقتران بأن لأن عسى من أفعال الترجى ، وكان القياس اقتران خبرها بأن حتى ذهب جمهور البصريين إلى أن التجريد من أن خاص بالشعر ، وأما أوشك فإنما يغلب معها الاقتران بأن ، حيث جعلت للترجى أختا لعسى ، . . . قال ابن الضائع : والدليل على ذلك أنك تقول : عسى زيد أن يحج ويوشك زيد أن يحج ولم يخرج من بلده ، ولا تقول : كاد زيد يحج إلا وقد أشرف عليه ، ولا يقال ذلك وهو فى بلده »[٣] .

«وكاد وكرب » بالعكس ، فيكون الغالب فى خبرها التجرد من أن لأنهما يدلان على شدة مقاربة الفعل ، وذلك يقرب من الشروع فى العمل والأخذ فيه ، فلم يناسب خبرهما أن يقترن بأن غالبا : ويقل اقترانه بأن نظرا إلى أصلهما »[٤] .

ويقول صاحب النحو الوافى : « أما أفعال الشروع لما كانت هذه الأفعال الماضية دالة على الشروع كانت ماضية فى الظاهر فقط ، ولكن زمنها للحال ، وزمن المضارع الواقع بعدها مقصود على الحال أيضا ، ليتوافقا فيتلاءم معناها .

(١) المقتصد فى شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجانى ، ١ : ص ٣٦٠ .
(٢) شرح الألفية ، ابن الناظم ، ص ١٥٨ .
(٣) شرح التصريح بمضمون التوضيح ، ١ : ص ٢٠٦ .
(٤) السابق ، ١ : ص ٢٠٧ .

وأفعال الرجاء هى ماضية فى اللفظ ، ولكن زمنها مستقبل ، إذ لا يتحقق معناها إلا فى المستقبل ، وذلك كان زمن المضارع الواقع فى خبرها مستقبلا فقط ليتوافقا »[1] .

ويلاحظ من كلام هؤلاء العلماء أنهم بحثوا عن التوفيق بين زمنى الناسخ (فعل المقاربة) ، وخبره (الفعل المضارع) .

ويقول عبد القاهر الجرجانى : اعلم أن كاد مجانس لعسى فى إفادة المقاربة إلا أن كاد أتى به لافراط تقريب الشئ من الحال ، وعسى أذهب فى الاستقبال ، فلما كان كذلك خص عسى بأن الذى هو علم الاستقبال ، ولم يدخل أن على الفعل الذى يقربه كاد ، فقيل : عسى زيد أن يخرج ، وكاد زيد يخرج . . . ألا ترى أنك لا تقول : كاد زيد يخرج بعد سنة ، وتقول : عسى الله أن يدخلنى الجنة ، فتوقع عسى على ما ليس شديد القرب من الحال »[2] .

ويقول أبو على الفارسى : « وربما اضطر الشاعر فحذف أن من خبر عسى تشبيها لها بكاد كما شبه كاد بعسى ، قال الشاعر :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقال آخر :

رسم عفا من بعد ما قدامحى قد كاد من طول البلى أن يمصحا »[3]

ومجمل القول فى (عسى) أن يأتى بعدها المضارع المجرد من أن ، أو المقرون بالسين أو الاسم المفرد ، والأول قليل ، والثانى أقل ، والثالث نادر جداً ، كقوله :

عسى طيئ من طئ بعد هذه ستطفئ غلات الكلى والجوانح[4]

ويقول عبد القاهر الجرجانى عن النوع الثالث تعليقا على هذا البيت : « وذلك أنه أتى بالفعل المحض فى خبرها ، ألا ترى أنه لا يجوز تقدير (أن) مع السين ، لأنهما لا يجتمعان إذ لا يقول أحد أرجو أن ستخرج ، غير أنه لما رأى السين مثل أن فى الدلالة

(١) النحو الوافى ، عباس حسن ، : ص ٦٢٢ .
(٢) المقتصد فى شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجانى ، ١ : ص ٣٦١ .
(٣) السابق ، ١ : ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
(٤) معنى اللبيب ، ابن هشام ، ١ : ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

على الاستقبال وضعه موضعه ، لأن الغرض الأعظم فى عسى الدلالة على المستقبل ، والسين دليلة »[1] .

* **خبر لعل** : المشهور فى خبر (لعل) إذا كان فعلا أن يأتى فعلا مضارعيا لأنها تدل على الرجاء ، وزمن الرجاء مستقبل ، فالموافق للناسخ (لعل) هو الفعل المضارع . وجاء خبر لعل ماضويا فى بعض الشواهد ، مثل :

- أعد نظرا يا عبد قيس لعلما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

- ويدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منا يا نا تحولن أبؤسا

وفى الحديث النبوى الشريف : « وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ويمكن أن يخرج هذا الماضى على النحو التالى :

١- أن يكون من باب « ونفخ فى الصور » أى تنزيل المستقبل بلفظ الماضى ، فالمعنى على الاستقبال ، وعلى ذلك تخرج الشواهد المذكورة .

٢- هذا الفعل متحقق الوقوع ، فجئ به ، وإن كان القصد يتوجه إلى زمن المستقبل .

وقد قاس بعض النحاة خبر لعل على خبر ليت (الفعل الماضى) ، فقد ورد خبر ليت (فعلا ماضويا) كثيرا ، وعلى هذا جوزوا امجئ خبر لعل ماضويا [2] .

وقد جاء خبرها فى زمن المستقبل محمولة على عسى لاقترانه بأن فى الشاهد الأول ، ويحرف التنفيس فى الثانى ، وذلك فى قوله :

لعلك يوما أن تلم مسلمة عليك من اللائى يدعنك أجدعا

وقوله :

فقولا لها قولا رقيقا لعلها سترحمنى من زمن وعويل[3]

(١) المقتصد فى شرح الإيضاح عبد القاهر الجرجانى ، ١ : ص ٣٥٧ .

(٢) مغنى اللبيب ، ابن هشام ، ١ : ص ٢٨٩ ، البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، ٤ : ص ٣٩٥ بتصرف .

(٣) مغنى اللبيب ، ١ : ص ٢٨٩ .

* **وقوع الماضى حالا** : اشترط نحاة البصرة لجواز وقوعه حالا وجود (قد) ، أو كونها ظاهرة أو مقدرة ، لأنها تقرب الماضى إلى الحال ، أما الكوفيون فقد أجازوا وقوع الماضى حالا بدون (قد) ، وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ النساء/ ٩٠ وتقديره عندهم : حصرةً صدورهم ، والبصريون يخرجون موضع الفعل بعيدا عن باب الحال ، وذلك على أربعة أوجه :

١) أن يكون فى موضع صفة لقوم المجرور فى قوله تعالى : ﴿ إلا الذين يصلون إلى قوم ﴾ .

٢) أن يكون فى موضع صفة لقوم مقدر ، والتقدير : أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم .

٣) أن يكون خبرا بعد خبر ، كأنه قال : أو جاؤكم ، ثم أخبر فقال : حصرت صدورهم .

٤) أن يكون محمولا على الدعاء، لا على الحال ، كأنه قال: ضيق الله صدورهم »[1] .

وهذا يكشف لنا اضطراب النحاة فى نهجهم لبناء الحكم النحوى، فالكوفيون تمسكوا فى خبر كان الماضى بتقدير (قد) حتى يقترب الماضى من زمن الحال ، والبصريون أجازوا فجئ خبر كان بدون (قد) فأجازوا وجود الناسخ الماضى مع الخبر الماضى ، والأمر على خلاف هذا فى باب الحال ، فنجد البصريين اشترطوا وجود (قد) ظاهرة أو مقدرة للسبب نفسه ، والكوفيون خالفوهم فى هذا ، وجوزوا مجئ الماضى حالا .

وعلى هذا يتضح دور الزمن النحوى فى تحديد التركيب من حيث الشكل والدلالة والإعراب ، وواضح أيضا أن البصريين قد راعوا عدم مجئ الحال من الزمن الماضى ، ولذلك يقسمها ابن هشام فى مغنى اللبيب بحسب الزمان إلى ثلاثة : مقارنة ، وهو الغالب ، نحو : « وهذا بعلى شيخان ومقدرة ، وهى المستقبلة كمررت برجل معه صقر صائدا به غدا ، أى مقدرا ذلك ، ومنه : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ﴾ . ومحكية ، وهى الماضية نحو : « جاء زيد أمس راكبا »[2] فما ورد ماضيا فهو على حكاية الحال .

(١) الإنصاف فى مسائل الخلاف ، ٢ : ص ٧١٧ - ٧١٩ ، المسالة ٣ - ١ بتصرف .
(٢) مغنى اللبيب ، ٢ : ص ٤٦٥ .

وتدرك من تقسيم ابن هشام أن للحال أنواع ثلاثة بحسب الزمان : النوع الأول ، وهو الغالب : المقارنة ، اللازمة ، المستمرة مع صاحبها ، وهذه ليس لها من محدد فزمنها عام ، والنوع الثانى : الحال ، وزمنه المستقبل ، والثالث : الحال من الماضى يؤول على حكاية الحال ، وبهذا يبدو أن نحاة البصرة رفضوا مجئ الماضى حالا إلا لحكاية الحال ، أو بتقدير (قد) مع الماضى ، أو ذكرها ظاهرة لتقربه إلى الحال ، فاتضح دور الزمن النحوى فى هذا الباب .

* **مدخول (لم) ، و(لما)** الفعل المضارع، ولذلك جعلهما النحاة من علاماته .

لكنهم فرقوا بين (لم) ، و (لما) على النحو التالى :

(١) لم : حرف نفى وجزم وقلب .

و(لما) : تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقلبه ماضيا كلم ، ومنفيها مستمرا إلى الحال .

(٢) معنى (لم) يحتمل الاتصال نحو : ﴿ **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾ مريم / ٤ ، والإنقطاع : ﴿ **لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا** ﴾ الإنسان / ١ ، ولهذا جاز : لم يكن ثم كان ، ولم يجز : لما يكن ثم كان ، بل يقال : لما يكن وقد يكون .

ولامتداد النفى بعد (لما) لم يجز اقترانها بحرف التعقيب بخلاف (لم) ، تقول : قمت فلم تقم ، لأن معناه ، وقمت عقيب قيامى ، ولا يجوز : قمت فلما تقم ، لأن معناه ، وما قمت إلى الآن .

(٣) منفى (لما) لا يكون إلا قريبا من الحال ولا يشترط ذلك فى منفى (لم) تقول : لم يكن زيد فى العام الماضى مقيما ، ولا يجوز (لما يكن) .

(٤) قال ابن مالك : لا يشترط كون منفى (لما) قريبا من الحال بل ذلك غالبا لا لازم فى مثل : عصى إبليس ربه ولما يندم »[1] منفى لما يشمل الماضى والحاضر والمستقبل .

(٥) منفى (لما) متوقع ثبوته بخلاف منفى (لم) ، ألا ترى أن معنى «بل لما يذقوا عذاب » أنهم لم يذوقوه إلى الآن ، وأن ذوقهم له متوقع .

(١) مغنى اللبيب ، ١ : ٢٧٧ - ٢٧٩ ، البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، ٤ : ص ٣٨١ ، ٣٨٢ .

قال الزمخشرى : ﴿ **وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ الحجرات / ١٤ ، ما فى (لما) من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ، ولهذا أجازوا ، « لم يقض مالا يكون » ومنعوه فى (لما) ، وهذا هو الفرق بالنسبة إلى المستقبل ، فأما بالنسبة إلى الماضى فهما سيان فى التوقع وعدمه »[١] .

* **مدخول السين وسوف** : مدخول الحرفين الفعل المضارع ، ولذلك جعلهما النحاة من علاماته ، ولنحاة العربية أقوال فى التفريق وفى دلالتهما ، وفى ذلك يقول ابن هشام : « السين المفردة ... ليس مقتطعا من سوف خلافا الكوفيين ، ولا مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف خلافا للبصريين »[٢] .

« ومعنى قول المعربين حرف تنفيس حرف توسيع ، وذلك أنها نقلت المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع ، وهو الاستقبال ، ... وزعم أنها قد تأتى للاستمرار ، لا للاستقبال ، وإنما استفيد الاستمرار من المضارع كما تقول : يقرى الضيف ، ويصنع الجميل ، تريد أن ذلك رأيه ، والسين مفيدة للاستقبال ، إذ الاستمرار إنما يكون فى المستقبل »[٣] وأضاف الزمخشرى أنها تأتى للتوكيد ، قال فى قوله تعالى ﴿ فسيكفيكهم الله » و ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخر إلى حين ، وقال : « السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : « سأنتقم منك »[٤] .

والمختار عندى أن يكون السين حرفا مستقلا بنفسه ، وهو منزل منزلة الجزء من المضارع ، فلا يكون مقتطعان من (سوف) ، ولا مدة الاستقبال به أضيق من مدة الاستقبال بسوف . فالاستعمال اللغوى يرد هذا الرأى البصرى ، ونكتفى بشاهد على هذا : قال الله تعالى ﴿ **وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ النساء / ٧٤ ، وقال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ** ﴾ النساء / ١٢٢ ، والحق أن الاستعمال اللغوى لا ندرك منه تفريقا فى الدلالة بين السين وسوف ، ولو اتسع المقام للشواهد لجئت بشواهد كثيرة من القرآن الكريم ،

(١) السابق ، ١ : ص ٢٧٩ ، السابق ، ٤ : ص ٣٨٣ ، الكاشف ، الزمخشرى ، ٤ : ص ١٧ .
(٢) مغنى اللبيب ، ١ : ص ١٣٨ .
(٣) السابق ، ١ : ص ١٣٨ .
(٤) السابق ، ١ : ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، الكشاف ، الزمخشرى ، ١ : ص ٩٧ .

والرأى المختار أن السين وسوف يدلان على المستقبل ، وهذه دلالة أصيلة فيهما لا تتبدل ، أما قولهم أن السين للاستمرار ، أو التوكيد أو غير ذلك ، فهذا معنى يضاف إلى زمن المستقبل ، وهذا المضاف استنبطه العلماء من السياق .

وفكرة النحاة فى الزمن النحوى جعلتهم يبنون مذهبهم فى صحة الجملة على التوافق الزمنى بين عناصر الجملة .

- يقول سيبويه : « وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره ، فتقول : أتيتك غدا ، سآتيك أمس فقد حال دون صحة الجملتين نحويا التناقض الواقع بين زمن الفعل وزمن الظرف . فاستحال وجود علاقة بين العنصرين »[1] .

ويقول : « وأما المحال الكذب فإن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس »[2] .

وتفسير عبارة سيبويه هو أن المحال عنده ما تناقض فى دلالة الزمن النحوى ، بأن يكون أحد عناصر الجملة دالة على زمن ، والعنصر الآخر يدل على زمن غيره ، وفى العبارة الأولى وقع التناقض بين زمن الفعل «أتيتك» الماضى ، والظرف (غدا) الدال على المستقبل . فاستحال بذلك وجود علاقة بين عنصرى الجملة .

- يقول عبد القاهر الجرجانى : « أعلم أن السين وسوف من دلائل الاستقبال ، فإذا قلت : سيقرأ لم يجز أن يكون ملتبسا بالفعل ، وكان المقصود كأن القراءة تحصل منه فيما يأتى من الزمان ، والدليل على ذلك أنك لو قلت : سيقرأ الآن لم يجز لأن قولك الآن يدل على الحال ولا يصاحب المستقبل ، وجاز أن تقول: زيد يفعل غدا»[3] .

* **مدخول (لن) الفعل المضارع** : تختص (لن) بالدخول على المضارع ، وهى من علامته .

ولن تأتى لنفى الفعل فى زمن المستقبل ، وهذه الدلالة على الاستقبال هى الأصل فى (لن) .

ويرى الزمخشرى فى أنموذجه أنها تأتى لتأبيد النفى ، أى جعل المنفى لا نهاية له

(١) الكتاب ، سيبويه ، ١ : ص ٢٥ ، عناصر النظرية النحوية فى كتابه سيبويه ، د : سعيد بحرى ، ص ١٥٦ .

(٢) الكتاب ، سيبويه ، ١ : ص ٢٥ .

(٣) المقتصد فى شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجانى ، ١ : ص ٨٣ .

وتصيير النفى مستمرا دائما ، ويرى أيضا أنها تأتى لتوكيد النفى فى الكشاف ، ويذهب بعض النحاة إلى أنها تقع دعائية فى قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص / ١٧ .

وفند ابن هشام هذه الآراء فى مغنى اللبيب حيث قال عنه : « هو لنفى الفعل المستقبل إما إلى غاية ينتهى إليها نحو قوله تعالى : ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾ طه / ٩١ ، وإما إلى غير غاية نحو قوله تعالى : ﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ الحج / ٧٣ ، ولا تقتضى (لن) تأبيد النفى خلافا للزمخشرى فى أنموذجه ، لأنه لو كانت للتأبيد لزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم / ٢٦ ، ولزم التكرار بذكر الأبد فى قوله تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدا ﴾ / ، ولم تجتمع مع ما لانتهاء الغاية فى : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى » ، وتأبيد النفى فى : « لن يخلقوا ذبابا » لأمر خارجى ، لا من مقتضيات (لن) .

ولا تقتضى توكيد النفى خلافا للزمخشرى فى كشافه فى تفسير (لن) ، بل قولك : لن أقوم محتمل لأن تريد به أنك لا تقوم أبدا ، أو أنك لا تقوم فى بعض أزمنة المستقبل ، وهو موافق لقولك : لا أقوم فى عدم إفادة التأكيد والتأبيد »[1] .

والحق أن المعنى الأصلى لهذا الحرف هو نفى الفعل فى المستقبل وقول الزمخشرى أنها لتأبيد النفى تكفل للرد عليه ابن هشام بالشواهد القرآنية ، وقد أظهر ضعف حجة الزمخشرى فى ذلك ، وقول الزمخشرى أنها لتوكيد النفى راجع إلى مذاهب المعتزلة فى عدم تجويزهم رؤية الذات العلية فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فالزمخشرى مدفوع بعقيدته الاعتزالية ، وكذلك يؤول المعتزلة قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وعلى مذهبهم لا تكون (لن) مفيدة لتأبيد النفى فى المستقبل ، وهو الصحيح .

ولا تقع دعائية بأن يكون الفعل بعدها دعاء خلافا لابن السراج ، وابن عصفور وآخرين ، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص / ١٧ ، مدعين أن معناه : فاجعلنى لأكون ، ولا حجة لهم فيها لإمكان حملها على النفى المحض ، ويكون ذلك معاهدة منه لله تعالى »[2] . والناتج من كل هذا أن (لن) تدخل

(١) شرح التصريح بمضمون التوضيح ، ٢ : ص ٢٢٩ ، الكشاف ، ص : ص ٩٠ .
(٢) شرح التصريح بمضمون التوضيح ، ص : ص ٢٢٩ .

على المضارع لتدل على نفى الزمن المستقبل ، وما زاد على هذه الدلالة مرده لأمر خارجى كما يقول ابن هشام ، وهـو ما يعرف عندهم بالقرينة المقالية والحـالية ، وما يعرف عند المحدثين بسياق الحال Context sitiuation .

*** مدخول (أن ، إذن ، كى ، حتى ، لام التعليل) :**

تدخل هذه الحروف على المضارع ، ولكى تعـمل فيه النصب لأبد من أن يكون هذا الفعـل بمعنى الاسـتقبال ، وسنـعرض إن شاء الله تعـالى لهذا فى حـديثنا عـن الزمن النحوى والإعراب .

*** توكيد فعلى المضارع والأمر بالنون :** ثقيلة وخفيفة نبه نحاة العربية على أن نون التوكـيد لا يؤكد بهمـا إلا المضارع والأمر ، لأن التوكـيد بالنون يخـص الزمن المستقبلى ، فناسب المضارع والأمر ، وقـد خرج الماضى ، والحال من هذا الباب إلا فيما ورد شاذاً ، على النحو التالى :

(١) توكيد اسم الفاعل شذوذا : أقائلين أحضروا الشهودا .

(٢) توكيد الماضى شذوذا :

دامن سعدك لـــو رحمت متيما لولاك لم يك للصبابة جانحا

(٣) توكيد أفعِل فى التعجب شذوذا :

ومستبدل من غضبى صريحة فأحر به بطول فقـــر وأحريا

وسوغ الضرورة فى اسم الفـاعل شبهه بالفعل المضارع ، وبأفعل لأن مـعناه كمعنى الماضى ، والماضى هنا على معنى (أفعل) »[1] ، فالماضى (دامن) ، (أحر) معناه المضارع : يدوم ، يحر ، ولهذا سوغ توكيده بالنون الثقيلة شذوذا .

« وأما المضارع فإن كان حالا فـلا يؤكد بهما ، وإن كان مستقبلا أكـد بهما وجوبا نحـو : ﴿ **وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم** ﴾ الأنبياء / ٥٧ ، وقـــريبا من الوجـوب بعد إما نحـو : ﴿ وإما تخافن مـن قوم خيانة ﴾ التوبة / ٥٨ ، ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ** ﴾ الأعراف / ٢٠٠ ، وجواز كثيرا بعد الطلب : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً** ﴾ إبراهيم / ٤٢[2] .

(١) مغنى اللبيب ، ٢ : ص ٣٣٩ بتصرف .

(٢) السابق ، ص : ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، بتصرف .

« ونون التوكيد تدخل على المضارع والأمر والماضى لفظا المستقبل معنى نحو قول الرسول ﷺ : « فإما أدركن واحد منكم الدجال » ، والمعنى : فإما يدركن »[1] .

* **استعمال (الآن)** : (الآن) اسم للوقت الحاضر بالحقيقة ، وقد تستعمل فى غيره مجازا ، وقال قوم هى حد للزمانين أى ظرف للماضى وظرف للمستقبل ، وقد يتجوز بها عما قرب من الماضى ، وما يقرب من المستقبل ، وقال ابن مالك : لوقت حضر جميعه كوقت فعل الإنشاء عند النطق به أو ببعضه ، كقوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ الجن / ٩ ، وقوله عزل وجل : ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ** ﴾ الأنفال / ٦٦ ، وهذا سبقه إليه الفارسى ، فقال الآن يراد به الوقت الحاضر ، ثم قد تتسع فيه العرب ، فتقول : أنا الآن أنظر فى العلم ، وليس الغرض أنه فى ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك ، ولكن الغرض أنه فى وقت ذلك ، وما أتى بعده كما تقول : أنا اليوم خارج ، تريده به اليوم الذى عقب الليلة »[2] .

ويقول الآلوسى : ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ** ﴾ يوسف / ٥١ ، (الآن) من الظروف المبنية فى المشهور ، وهو اسم للوقت الحاضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به ، أو الحاضر يعقبه كما فى هذه الآية ، وقوله سبحانه : ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ** ﴾ الأنفال / ٦٦[3] ، وقد ورد أيضا (الآن) فى قوله تعالى : ﴿ **آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ** ﴾ يونس / ٩١ ، وقوله تعالى ﴿ **آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ** ﴾ يونس / ٥١ ، وقوله تعالى : ﴿ **فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ** ﴾ البقرة / ١٨٧ ، واستعمال (الآن) فى الآية الأولى للحال ، لأن التقدير : أتؤمن الآن ، ويصح مجئ الحال هنا لأن قد تقرب الماضى إلى زمن الحال كما يقول النحاة ، وفى الآية الثانية استعمل (الآن) فى زمن الماضى القريب من الحال فالتقدير : آمنتم الآن وقد كنتم به تستعجلون ، لأن قبل الظرف « أثم إذا ما وقع آمنتم به » ، ويصح مجئ الحال هنا لوجود (قد) .

والآية الثالثة : « فالآن باشروهن » زمن الاستقبال فيها واضح لوجود فعل الأمر وجملة القول فى هذا أن (الآن) فى الأصل يستعمل للحاضر أو الحال ، ويمكن أن يمتد هذا الزمن إلى المستقبل ، ويستخدم أيضا مع الماضى القريب من الحال أو الحاضر

---

(١) ؟؟؟؟

(٢) البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، ٤ : ص ٢٤٧ .

(٣) روح المعانى ، الآلوسى ، ٧ : ص ٣٩٠ .

بعض ، ومع المستقبل ، والسياق هو الذى يحدد معنى الزمن فى هذا كله واستخدام هذا الظرف لغير الحاضر أو الحال يكون من باب التوسع لا الحقيقة ، وعلى الحقيقة لا نقول : ضرب الآن ، وسيقرأ الآن . استعمال (قط) ، هو ظرف زمان لاستغراق ما مضى ، بفتح القاف وتشديد الطاء فى أفصح اللغات ، ويختص بالنفى ، يقال : ما فعلته قط ، والعامة يقولون : لا أفعله قط ، وهو لحن ، واشتقاقه من قططته أى قطعته ، فمعنى ما فعلته قط ؛ ما فعلته فيما انقطع من عمرى ، لأن الماضى منقطع من الحال والاستقبال[1] .

* **استعمال (عوض)** : « هو ظرف لاستغراق المستقبل مثل (أبدا) ، إلا أنه يختص بالنفى ، وهو معرب إن أضيف ، كقولهم : لا أفعله عوض العائضين » ، مبنى إن لم يضف ، وبناؤه إما على الضم كقيل ، أو على الكسر كأمس ، أو على الفتح كأين ، وسمى الزمان عوضا ، لأنه كلما مضى جزء منه عوضه جزء آخر ، وقيل : بل لأن الدهر فى زعمهم يسلب ويعوض » .[2] .

* **استعمال (أبدا)** : «هو للزمان المستقبل الذى لا نهاية له »[3] والمعنى آخر فإن هذا الظرف موضوع لإفادة الاستمرار غير المنتهى فى المستقبل ، ولذلك نجده مستخدما فى سياق الحديث عن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار .

* **استعمال (أمدا)** : «اسم لزمن مستقبل ، تقول : لا أكلم زيدا أمدا »[4] .

ويلاحظ بهذا أن الظرف (قط) اقتصر فيه على الماضى ، والظروف (عوض) ، (أبدا) ، (أمدا) اقتصر فيها على إفادة الزمن المستقبلى ، وقد خالف (أبدا) (أمدا) فى أن الآول يدل على الاستمرار غير المنتهى فى المستقبل ، والثانى يدل على المستقبل لكن استمرار الزمن فيه غير حاصل .

* الإخبار عن الذات بظرف الزمن:

ظرف المكان يقع خبرا عن الجثة ، نحو : زيد عندك ، وعن المعنى : نحو : القتال

---

(١) مغنى اللبيب ، ١ : ص ١٧٥ .

(٢) مغنى اللبيب ، ١ : ص ١٥٠ .

(٣) شرح الكواكب ادرية على متممة الأجرومية ، الكفراوى ، ٢ : ص ١٧ .

(٤) شرح ابن عقيل للألفية ، ١ : ص ١٢٧ .

أمامك ، وظرف الزمان يكون خبرا عن المعنى منصوبا أو مجرورا بفى ، نحو : القتال يوم الجمعة أو فى يوم الجمعة ، ولا يقع خبرا عن الجثة إلا إذا أفاد ، وهذا الرأى لابن مالك وقوم آخرين ، يقول ابن مالك : ولا يكون اسم زمان خبرا عن جثة ، وإن يفد فأخبرا .

ورأى ابن مالك فى الجواز مقيدا بالإفادة ، نحو : الليلة الهلال ، الرطب شهرى ربيع ، نحن فى يوم طيب فى شهر كذا ، ومذهب جمهور البصريين أن هذا مؤول على تقدير : طلوع الهلال الليلة ، ووجود الرطب شهرى ربيع ، وإن لم يقد لم يقع خبرا عن الجثة ، نحو : زيد اليوم ، وذهب هذا قوم منهم المصنف (ابن مالك)[1] .

*** استعمال (إذا) : تستعمل (إذا) على أربعة أوجه :**

(١) اسم للزمن الماضى ، فى حالة الظرفية ، والمفعولية ، والبدل أو مضافا إليها اسم زمان ، ومثال الأول : ﴿ **فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ التوبة / ٤٠ ، والثانى : وهو الغالب على المذكورة فى أوائل القصص فى التنزيل : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ** ﴾ البقرة / ٣٠ ، والثالث : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ** ﴾ مريم / ١٦ ، والرابع : ﴿ **بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** ﴾ آل عمران / ٨ .

(٢) اسم للزمن المستقبل ، نحو : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ الزلزلة / ٤ ، والجمهور لا يثبتون هذا القسم ، ويجعلونه من باب ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ أى تنزيل المستقبل الواجب الوقوع بمنزلة ما قد وقع ، وقد يحتج لغيرهم بقول الله تعالى ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ** ﴾ غافر / ٧٠ ، ٧١ فإن يعملون مستقبل لفظا ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد أعمل فى إذ ، فلزم أن يكون بمنزلة (إذا)[2] .

(٣) التعليل ، ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ﴾ ويبقى إشكال فى الآية ، وهو أن (إذ) لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ، ولا تكون ظرفا لينفع لأنه لا يعمل فى ظرفين ، ولا لمشتركون لأن معمول خبر الأحرف الخمسة لا يتقدم عليها ،ولان معمول الصلة لايتقدم على الموصول ، ولأن اشتراكم

(١) شرح ابن عقيل للألفية ، ١ : ص ١٢٧ .
(٢) مغنى اللبيب ، ١ : ص ٨٠ بتصرف .
(٣) السابق ، ١ : ص ٨١ بتصرف .

فى الآخرة لا فى زمن ظلمهم ، قال أبو الفتح : راجعت أبا على مرارا فى قوله تعالى : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ﴾ مستشكلا إبدال (إذ) من اليوم ، فآخر ما تحصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان ، وأنهما فى حكم الله تعالى سواء ، فكأن اليوم ماض ، و (إذ) مستقبله »[1] .

والمختار عندى أن (إذا) هذا اسم للزمن الماضى فى حالة الظرفية لفعل أمر محذوف ، وتقديره : فاذكروا إذ ظلمتم ، والكلام هنا على التقديم والتأخير ، والتقدير : ولن ينفعكم اليوم أنكم فى العذاب مشتركون فاذكروا إذ ظلمتم ، أو تكون جملة : فأذكروا إذ ظلمتم اعتراضية جئ بها بها لتقوية الكلام وتوكيده ، « ويجوز أن يكون المعنى : إذ ثبت ظلمكم ، أو بعد إذ ظلمتم ، وعليهما (إذ) بدل من اليوم[2] » .

(٤) تلزم (إذ) الإضافة إلى جملة اسمية : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ الأنفال / ٢٦ أو فعلية فعلها ماض لفظا ومعنى نحو : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ البقرة / ٣٠ أ فعلية فعلها ماض معنى لا لفظا نحو : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ﴾ البقرة / ١٢٧ ، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[3] الأنفال / ٣٠ .

* **استعمال (إذا) :**

١) للمفاجأة ، ومعناها الحالى ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ طه / ٢٠ ، ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ ﴾ يونس / ٢١ ، وهى حرف عند الأخفش ، ويرجحه قولهم : «خرجت فإذا إن زيداً بالباب » لأن إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وظرف مكان عند المبرد ، وظرف زمان عند الزجاج .

٢) لغير المفاجأة : فالغالب أن تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط ، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية ، ويكون الفعل بعدها ماضيا كثيرا ، مضارعا دون ذلك[4] » .

(١) السابق ، ١ : ص ٨٢ بتصرف .

(٢) السابق ، ١ : ص ٨٣ بتصرف .

(٣) مغنى اللبيب ، ١ : ص ٨٤ بتصرف .

(٤) السابق ، ١ : ص ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ بتصرف .

٣) خروجها عن الاستقبال فى وجهين :

أحدهما (الماضى) : كقوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ ﴾ التوبة / ٩٢ ، ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ الجمعة / ١١ .

ثانيهما (الحال) : وذلك بعد القسم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ الليل / ١ ، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ النجم / ١ ، قيل لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفا لفعل القسم ، لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتى لأن قسم الله سبحانه قديم ، ولكون محذوف هو حال من والليل والنجم ، لأن الحال والاستقبال متنافيان ، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال »[1] .

واختار ابن هشام أن يكون الزمن هنا مستقبل حيث يقول : والصحيح أنه لا يصح التعليق بأقسم الإنشائى ، لأن القديم لازمان له لا حال ولا غيره ، بل هو سابق على الزمن ، ولأنه لا يمنع التعليق بكائنا مع بقاء إذا على الاستقبال ، بدليل صحة مجئ الحال المقدرة باتفاق فى قولهم : « مررت برجل معه صقر صائدا غدا » أى مقدر الصيد به غدا »[2] .

*** استعمال (لو) :**

(١) الشرطية المقيدة للشرط بالزمن الماضى نحو ، « لوجاء زيد لأكرمته » .

(٢) الشرطية لإفادة زمن المستقبل ، وتكون بمعنى (إن) لكنها لا تجزم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ يوسف/ ١٧ ، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ الصف / ٩ ، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ المائدة/ ١٠٠ ، ونحو :

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا الأرض سبسب

لظل صدى صوتى وإن كنت دمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

ونحو :

لو أن ليلى الأخيلية سلمت ... على ودونى جندل وصفائح

(١) السابق ، ١ : ص ٩٥ بتصرف .

(٢) السابق ، ١ : ص ٩٥ ، ٩٦ .

لسلمت تسليم البشاشـــة أو ذقـــا إليها صدى من جانب القبر صائح

وقوله :

لا يلفك الراجيك إلا مظهـــــرا خلق الكرام ، ولو تكون عديما[1]

(٣) أن تكون حرفا مصدريا بمنزلة (أن) إلا أنها لا تنصب ، وأكثر وقوع هذه بعد ود أو يود ، نحو : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ ﴾ القـلم / ٩ ، ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ البقرة / ٩٦ .

(٤) التمنى ، نحو « لو تأتينى فتحدثنى » .

(٥) العرض ، نحو : « لو تنزل عندنا فتصيب خيرا »[2] .

والزمن مع لو المصدرية فى القسم الثالث مستقبل لمجيئ المضارع بعدها ، ولأنها فى موقع (أن) المصدرية التـى تخلص المضارع من الحال إلى الاستقبـال ، وفى القسم الرابع (التمنى) الزمن مسـتقبل أيضا ، لوقوع المضارع بعدها : وفى الـقسم الخامس (العرض) الزمن مستقبل كما قلنا فى القسم الرابع .

* **استعمال (لولا) :**

(١) الشرطيـة : وتكون داخله علـى جملتين اسميـة ففعلية لربـط امتناع الثانـية بوجود الأولى ، ويكون زمن الجواب معها ماضويا كمـا يتضح من استخدام الفعل الماضى فى جوابها .

(٢) التحضيض والعرض ، نحو ﴿ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾ النمل / ٤٦ ، ﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ والفرق بينـهما أن التحضيض طلب بـحث وإزعاج ، والعرض طلب بلين وتأدب .

والزمـــن فـــى الآية الأولى للحال والمستقـبل ، وفى الثانية للحـــال والمستقبـل لأن (أخرتنى) فى تأويل المضارع .

(٣) للتوبيخ والتنديم ، فتختص بالماضى نحو ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ النور / ١٣ ، ﴿ فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ الأحقاف / ٢٨ .

(١) مغنى اللبيب ، ١ : ص ٢٥٥ ، ٢٦١ بتصرف .

(٢) السابق ، ١ : ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ بتصرف .

(٤) الاستفهام ، نحو ﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ المنافقون / ١٠ ﴿ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ الفرقان / ٧[١] والزمن فى الآية الأولى للحال والمستقبل لأن الماضى فى تأويل المضارع ، وكذا فى الثانية . ويمكن أن تكون (لولا) فى هاتين الآيتين للتمنى ، ولم يذكر هذا القسم ابن هشام ، ويكون الزمن هنا فى الآيتين للماضى ، والتمنى فى الزمن الماضى مشهور فى الاستعمال اللغوى .

* استعمال (لوما) :

يقول ابن هشام : « إنه بمنزلة لولا ، تقول : ﴿ لو ما زيد لأكرمتك ﴾ ، وفى التنزيل : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ﴾ الحجر / ٧ وزعم المالقى أنها لم تأت إلا التحضيض ، ويرده قول الشاعر :

لوما الإصاخة للوشاة لكان لى من بعد سخطك فى رضاك رجاء

وقال ابن فارس فى : « لو ما تأتينا بالملائكة » هى بمعنى (هلاَّ)[٢] .

والمختار عندى أن (لوما) فى هذه الآية التحضيض ، والزمن هنا للحال والمستقبل ، فالفعل المضارع يفهم منه ذلك من خلال السياق .

* استعمال (لما) :

و (لما) لها وجهان فى الاستعمال : أحدهما (لما) الجازمة للمضارع ، وقد عرضنا لاستعمالها فيما سبق ، وثانيهما : أن تدخل على ماض ، وهى حرف وجود لوجود ، أو وجوب لوجوب ، عكس (لو) ، أى تدل على وقوع الحدثين جميعا .

واشتهرت فى الاستعمال اللغوى بأن يأتى فعل الشرط معها ماضويا ، والجواب كذلك .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ الإسراء/ ٦٧ ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ ﴾ القصص / ٢٣ ، والزمن يكون ماضويا فى تركيب (لما) ، ولذلك نجد العلماء يؤولون لجعل الجواب ماضويا فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا ﴾ هود/ ٧٤ ، قيل : الجواب (وجاءته) على

(١) مغنى اللبيب ، ١ : ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) السابق ، ١ : ص ٢٧٦ ، فقه اللغة ، ابن فارس ، ص ١٣٥ .

زيادة الواو ، وقيل الجواب محذوف ، أى أخذ يجادلنا ، وقيل : يجادلنا ، مؤول بـ « جادلنا »[1] .

ويبقى إشكال فى استعمال (لما) عندما يأتى جوابها مقرونا بإذا الفجائية ، نحو : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ الأنبياء/ ١٢ ، ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف/ ٥٧ ، ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت/ ٦٥ ، فالشرط زمنه ماضوى ، و(إذا) الفجائية لزمن الحال فتعارض الزمنان ، ولكى نوفق بينهما يمكن أن نقول : الزمن الماضى الواقع فى جملة الشرط على إرادة حكاية الحال ، وحكاية الحال أمر موجود لدى نحاة العربية ذكروه فى مسألة إعمال اسم الفاعل .

*** استعمال أدوات الشرط الجازمة :**

إن الشرطية ، ومن ، وما ، ومهما ، وأى ، ومتى ، وأين وحيثما ، وأنى ، وإذ ما ، أدوات تجزم فعلين : فعل الشرط ، وجواب الشرط ، وتكون جملة الشرط وجملة الجواب فى أربع صور على النحو التالى :

(١) جملة الشرط (فعل مضارع) ، جملة جواب الشرط (فعل مضارع) .

(٢) جملة الشرط (فعل ماض) ، جملة جواب الشرط (فعل ماض) .

(٣) جملة الشرط (فعل ماض) ، جملة جواب الشرط (فعل مضارع) .

(٤) جملة الشرط (فعل مضارع) ، جملة جواب الشرط (فعل ماض) .

والترتيب السابق راجع إلى كثرة الاستعمال اللغوى ، والنوع الرابع قليل حتى خصه الجمهور بالشعر ، ومذهب الفراء ومن تبعه جوازه فى الاختيار ، لقوله ﷺ : « من يقم ليلة القدر إيمانا وإحتسابا غفر له »[2] .

والذى يهمنا من هذا معرفة الزمن فى هذه التراكيب ، فالفعل المضارع فى أسلوب الشرط معناه الزمنى المستقبل ، والماضى مؤول إلى المستقبل ، وبذلك يحدث التوافق الزمنى بين فعل الشرط وجواب الشرط فى جميع التراكيب المذكورة ، والحق أن نحاة

(١) البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، ٤ : ص ٣٨٥ .

(٢) شرح التصريح ، ٢ : ص ٢٤٩ .

العربية قد نبهوا على (أن) زمن الفعل فى الشرط يكون للاستقبال ، وفى ذلك يقول عبد القاهر الجرجانى : « إن تدخل على الماضى فتقلب معناه إلى الاستقبال ، ألا ترى إن قلت : إن خرجت خرجت أمس ، كان محالا ، وهذا القلب فى (إن) أوجب منه فى (لم) لأجل أن لم معناها النفى ، وذلك لا يقتضى الماضى دون الحال والاستقبال ، وليس كذلك (إن) لأنه موضوع على الشرط والجزاء ، فلا يكون إلا فى المستقبل »[1] .

ثانياً: دور الزمن النحوى فى الإعراب:

الزمن النحوى فى العربية يدخل فى مسائل الإعراب ، ولقد تنبه نحاة العربية إلى هذا منذ العصور الباكرة للنحو العربى ، وذلك فى المواضع الآتية :

(١) **إعمال اسم الفاعل** : نبه النحاة على أن اسم الفاعل يعمل مطلقا إذا كان مقترنا بأل ، فى الماضى والحال والاستقبال ، وكشف ابن هشام عن سبب ذلك ، وقال : «فإذا كان بأل عمل مطلقا ماضيا كان أو حال أو مستقبلا ، تقول : جاء الضارب زيداً أمس ، أو الآن ، أو غداً ، لأن (أل) هذه موصولة ، وضارب حال محل ضرب إن أردت المعنى ، أو يضرب إن أردت غيره ، والفعل يعمل فى جميع الحالات ، فكذا ما حل محله »[2] ، وإذا كان مجردا منها فإنه يعمل بشرطين : أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأن يعتمد على نفى أو استفهام أو مخبر عنه ، أو وصف أو نداء »[3] ، واشتراط الزمنين الحال والاستقبال هنا مرده إلى المشابهة بينه وبين المضارع ، فهذان الزمنان يخصانه ، والفعل المضارع أصل فى العمل ، واسم الفاعل فرع ، ولما كان الأمر كذلك بحث النحاة عن وجه شبه يجعل الفرع يعمل على الأصل ، ومن هنا جاء الشرط ، والشرط الثانى راجع إلى الاستعمال اللغوى فى الشواهد النثرية والشعرية .

لكن الكسائى أجاز إعمال اسم الفاعل بمعنى الماضى ، مستشهدا بقوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ الكهف / ١٨ ، وقد رد رأى الكسائى بأن الماضى هنا مؤول على حكاية الحال »[4] ، ونظرة الكسائى ومن وافقه كهشام بن

(١) المقتصد فى شرح الإيضاح ، ٢ : ص ١٠٩٥ .
(٢) شرح قطر الندى ، ابن هشام ، ص ٢٩٤ .
(٣) السابق ، ص ٢٩٥ ، شرح التصريح ، ٢ : ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٤) شرح قطر الندى ، ص ٢٩٥ .

معاوية ومن بعدهما ابن مضاء القرطبى تتجه إلى البعد عن الشرط الزمنى ، فقد حملوه على المقترن بأل العامل بدون شرط . حكاية الحال : هذا المصطلح وقع فى كتب النحاة ، وبالتحديد فى مبحث إعمال اسم الفاعل ، ومعنى : حكاية الحال الماضية ، أو جعل الماضى فى زمن الحال بالحكاية ، أو استحضار الزمن الماضى فى زمن الحال ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ** ﴾ القصص/ ١٥ ، فالإشارة بهذا تستخدم للقريب ، والقصة ماضية على نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ واستخدام الإشارة بهذا على إرادة حكاية الحال »[1] .

(٢) **إعمال صيغ المبالغة** : إعمال صيغ المبالغة رأى بصرى ، وقد حملها نحاة البصرة على اسم الفاعل فى العمل بالشروط المذكورة له ، وجمهور البصريين ذهب إلى أعمال الصيغ الخمسة : فعَّال ، وفعول ، وفعيل ، وفَعِل ، لكن بعض البصريين لم يجز إعمال فعيل ، وفعل ،

والكوفيون منعوا إعمالها لمخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه ، وحملوا نصب الاسم الذى بعدها على تقدير فعل ، ومنعوا تقديمه عليها ، ويرد عليهم قول العرب : « أما العسل فأنا شرب » ، وأجاز الجرمى إعمال فَعِل دون فعيل ، لأنه على وزن الفعل كعلم ، ونسهم[1] » . ويلاحظ أن نظرة نحاة البصرة فى الإعمال اتجهت إلى السماع ، ولذلك نجدهم ينصون على إعمال صيغ المبالغ لورود الشواهد بذلك ، ونجد بعضا منهم لم يجز إعمال صيغتى : فعيل ، وفعل لقلة المسموع ، وما ورد من الشواهد اليسيرة فى ذلك يعد من الضرورة أو الشاذ الذى لا يقاس عليه ، وذلك الذى ذهبوا إليه يعد من سمات المنهج البصرى فى الدرس النحوى كما هو معروف .

والكوفيون تمسكوا بالجانب الشكلى والدلالى مقارنين بينها وبين المضارع من حيث الوزن والمعنى ، وقصدهم من الوزن أن الحركات والسكنات فى المضارع تفارق الحركات والسكنات فى صيغ المبالغة ، ، أما المعنى فالمضارع معناه الزمنى الحال والاستقبال ، وصيغ المبالغة تدل على تكرار الحدث ولا تدل على زمن معين إلا إذا حددت بقرينة .

---

(١) البيان فى غريب إعراب القرآن ، ابن الأنبارى ، ٢ : ص ١٠٣ بتصرف .

(٢) شرح قطر الندى ، ص ٢٩٨ ، ٣٠١ بتصرف .

والمختار عندى رأى البصرة للسماع ، ولأن المبالغة محمولة على اسم الفاعل فى العمل ، فينتفى قول الكوفيين بالمخالفة فى الحركات والسكنات ، وقولهم : إن صيغ المبالغة تخالف المضارع فى المعنى ، فالمضارع أيضا يخالف اسم الفاعل فى المعنى الزمنى ، فالأول يدل على الحال والاستقبال ، والثانى يدل على ثبوت الحدث دون التقيد بزمن معين .

(٣) **إعمال اسم المفعول** : اشترط النحاة فى إعمال اسم الفاعل فإذا كان مقترنا بأل عمل مطلقا بمعنى الماضى ، والحال ، والاستقبال ، وإذا لم يكن بها عمل بشرطين :

١- أن يكون بمعنى الحال والاستقبال .

٢- أن يعتمد على نفى أو استفهام أو وصف أو ابتداء أو نداء .

ويلاحظ فى الشرط الأول أنه يوجه إلى المشابهة بين المضارع واسم الفاعل ، فاشترطوا لاسم الفاعل الزمنين الخاصين بالمضارع ، لأن الفعل هو الأصل فى العمل . والشرط الثانى اعتمد على السماع والشواهد النحوية .

وبهذا يتضح دور الزمن النحوى فى الإعراب ، والحق أن نحاة العربية قد نصوا على ذلك فى مباحثهم .

(٤) **الاشتغال** : فى باب الاشتغال نجد النحاة ينصون على دور الزمن النحوى فى الإعراب ، وفى ذلك يقول ابن مالك :

وسوفى ذا الباب وصف ذا عمل بالفعل إن لم يك مانع حصل

«فلو كانت الصفة اسم فاعل بمعنى الماضى نحو : « أزيدًا أنت ضاربه أمس» لم يصلح لعمل الفعل ، فلم يجز أن يفسر عاملا فى الاسم السابق ، لأن شرط المفسر فى هذا الباب صلاحيته للعمل فى الاسم السابق[1] » .

وفى شرح التصريح على التوضيح : « الوصف يشمل اسم الفاعل واسم المفعول ، وأمثلة المبالغة نحو : زيداً أنت ضاربه ، والدرهم أنت معطاه ، والعسل أنت شرابه . الآن أو غدا ، فالاسم السابق فيهن منصوب بوصف محذوف يفسره الوصف المذكور ، والتقدير : أنا ضارب زيداً ، وأنت معطى الدرهم ، وأنت

(١) شرح الألفية ابن الناظم ، ص ٢٤٢ .

شراب العسل . . بخلاف زيدا أنا ضاربه أمس ، لأنه غير عامل على الأصح لأنه بمعنى الماضى ، نعم يجوز النصب عند من جوز عمل الوصف إذا كان بمعنى الماضى ، وهو الكسائى[1] » .

(٥) **توكيد الفعل بنون التوكيد** : الفعل الذى يؤكد بنون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة هو المضارع والأمر ، وما ورد سوى ذلك فهو من الشاذ ، وقد عرضنا لذلك فى حديثنا عن دور الزمن فى تحديد شكل التركيب ، وما يهمنا هنا هو أن نؤكد على أن نحاة العربية لم يحددوا المضارع والأمر فى التوكيد بالنون إلا لنظرتهم لزمن الاستقبال والمؤكد لكلامه يقصد المستقبل فناسب ذلك الفعلين المذكورين .

(٦) **خبر كان** : المشهور فى خبر كان أن يأتى من الفعل المضارع ، والماضى فيه خلاف ، فالبصريون أجازوه لكثرته فى السماع ، وقاسوا على المسموع لكثرته ، والكوفيون اشترطوا وجود قد لتقريب الماضى إلى الحال ، وابن درستويه منع ذلك ، وأخبار الأفعال الدالة على الاستمرار يتفق النحاة فى منع مجئ أخبارها ماضوية ، ويلاحظ أن فكرة النحاة فى الزمن النحوى تعتمد على الموافقة الزمنية بين الناسخ وخبره عند أهل البصرة ، والتقارب الزمنى عند أهل الكوفة ، وابن درستويه أراد المخالفة بين الناسخ والخبر فى الزمن .

أما فعل الأمر فلم يرد فى السماع ، ويلاحظ أن سبب عدم وروده يرجع إلى المخالفة الدلالية ، فهذه الجمل هى أخبار تحتمل الصدق والكذب ، والأمر إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب ، كما أن الأمر زمنه المستقبل ، وبذلك يخالف زمن الناسخ .

(٧) **خبر أفعال المقاربة** : اشترط النحاة فى خبر أفعال المقاربة أن يكون مضارعا ، وبذلك فقد حددوا زمن الخبر فى الحال والاستقبال ، والزمن الأول هو المناسب لأفعال المقاربة والشروع ، والزمن الثانى يناسب أفعال الرجاء .

(٨) **خبر لعل** : المشهور فى خبرها مجيئه من المضارع ، ذلك لأنها تدل على الرجاء وزمن الرجاء هو المستقبل ، مناسب المضارع ، وورود خبرها بمعنى الماضى إما لكونه مؤولا بالمستقبل ، أو لأنها حملت على ليت فالماضى فى أخبارها وارد .

(١) شرح التصريح ، خالد الأزهرى ، ١ : ص ٣٠٥ .

(٩) وقوع الفعل الماضى حالا : اشترط نحاة البصرة له وجود قد ظاهرة أو مقدرة ، لأنها تقرب الماضى إلى الحال ، والكوفيون أجازوه بدون (قد) ، فلا يهم التقريب الزمنى فى هذا الباب .

(١٠) إعمال (إذن، حتى) فى المضارع :

* **إعمال (إذن)** : «المضارع يكون بعدها مستقبلا قياسا على بقية النواصب ، فيجب الرفع فى نحو : إذن تصدق ، جوابا لمن قال : أنا أحبار زيدا ، لأنه حال ، ولا مدخل للجزاء فى الحال »[١] .

* **إعمال (حتى)** : « ولا ينتصب الفعل بعد (حتى) إلا إذا كان مستقبلا ، ثم إذا كان استقباله بالنظر إلى زمن المتكلم فالنصب واجب ، نحو : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » ، وإن كان بالنسبة إلى ما قبلها خاصة فالوجهان نحو : « وزلزوا حتى يقول الرسول » ، فإن قولهم إنما هو مستقبل بالنظر إلى الزلزال ، لا بالنظر إلى زمن قص ذلك علينا . وكذلك لا يرتفع الفعل بعد حتى إلا إذا كان حالا ، ثم إذا كانت حاليته بالنسبة إلى زمن التكلم فالرفع واجب ، كقولك : « سرت حتى أدخلها » ، إذا قلت ذلك وأنت فى حالة الدخول ، وإن كانت حاليته ليست حقيقية ، بل كانت محكية رفع ، وجاز نصبه إذا لم تقدر الحكاية ، نحو : « وزلزلوا حتى يقول الرسول » ، قراءة نافع بالرفع بتقدير : حتى حالتهم حينئذ أن الرسول والذين آمنوا معه يقولون كذا وكذا »[٢] .

* **إعراب (سحر)** : إذا أريد سحر يوم بعينه ، واستعمل ظرفا مجروا من آل والإضافة ، فإنه ممنوع من الصرف للتعريف والعدل ، قال الأخفش : إنما أجراه لأنه نكرة ، ولو أراد سحر يوم بعينه لما أجراه ، ونظيره : ﴿ **اهْبِطُوا مِصْرًا** ﴾ البقرة/ ٦١ ، لما نكره ، فلما عرفه فى قوله ﴿ **ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ يوسف/ ٩٩ ، لم يجره »[٣] .

* **إعراب (أمس)** : إذا أردت به معينا ، وهو اليوم الذى قبل يومك ،

(١) شرح التصريح ، ٢ : ص ٢٣٥ .

(٢) مغنى اللبيب ، ١ : ص ١٢٦ .

(٣) شرح التصريح ، ٢ : ص ٢٢٣ ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧ : ص ٩٣ .

وللعرب فيه حينئذ ثلاث لغات : إحداها : البناء على الكسر مطلقا ، وهى لغة أهل الحجاز ، فيقولون : ذهب أمس بما فيه » ، الثانية : إعرابه مالا ينصرف مطلقا ، وهى لغة بعض بنى تميم ، الثالثة : إعرابه إعراب مالا ينصرف فى حالة الرفع خاصة ، وبناؤه على الكسر فى حالتى النصب والجر ، وهى لغة جمهور بنى تميم ، يقولون : « ذهب أمسُ » ، «واعكتفت أمسِ » ، «وعجبت من أمسِ» . وإذا أريد بأمس يوم من الأيام الماضية ، أو كسر ، أو دخلته أل ، أو أضيف أعرب بإجماع نحو : « فعلت ذلك أمسًا »[1] .

ثانيا: الزمن النحوى فى العربية وسياق الحال :

المشهور عند نحاة العرب أن الأسماء لا تقترن بزمن ، وهى دالة على معنى فى نفسها ، والأفعال تقترن بزمن ، وتدل على معنى فى نفسها ، والفعل عندهم = زمن + حدث ، والحروف لا تقترن بزمن ، ولا تدل على معنى فى نفسها ، والزمن النحوى عند نحاة العربية ثلاثة أقسام : الماضى والحاضر (الحال) والمستقبل ، لكن معانى الأزمنة الثلاثة لا ترتبط بالجانب الشكلى للفعل فحسب ، بل تتدخل عوامل أخرى لتحديد معنى الزمن ، وهذه العوامل تكمن فيما عرف عند المحدثين بنظرية السباق (سياق الحال) Context Sitiuation ، والحق أن علماء النحو العربى تنبهوا إلى معرفة دلالة الزمن من السياق ، وهذا يتضح فى حديثهم عن القرائن المحددة للزمن كالحالية والمقالية واللفظية ، وهذه الفكرة ترددت عندهم فى تحديد الزمن ، وفى الحذف الواقع فى الجمل النحوية كحذف المفردات (الخبر ، المبتدأ ، . . . .) ، وحذف الجمل المعلومة من سياق الكلام . والحديث عن سياق الحال موجود عند نحاة العرب منذ سيبويه ، ويتضح هذا فى مباحث الكتاب فى كلام سيبويه عن الحذف للعلم بالمحذوف ، ودلالة الحال والمقام عليه ، ولقد عنى بسياق الحال علماء البلاغة ، وأكدوا فى مباحثهم ، وهذا واضح منذ نشأة علوم البلاغة كما نجد ذلك عند الجاحظ وبشر بن المعتمر ، وأبى عبيدة عمرو بن المثنى ، وأبى هلال العسكرى ، وابن قتيبة الدينورى فى مباحثه فى تأويل مشكل القرآن والقصد من هذا القول التنبيه على أن علماء العربية : لغويين ونحاة ، وبلاغيين ، ومفسرين ، وفقهاء ذكروا هذه المفاهيم المتعلقة بسياق الحال فى مباحثهم ، وأدركوها

(١) شرح شذور الذهب ، ص ٩٨ .

إدراكا تاما يبدأ لها تلك المفاهيم لم تبلغ مبلغته على يد العلماء المحدثين من تفصيل وتخصيص لهذه المباحث فيما يعرف بنظرية سياق الحال .

ولكى نؤكد ما قلناه من اهتمام نحاة العربية بسياق الحال نذهب إلى كتاب ابن جنى (الخصائص فقد وضحت بعض نصوصه المراد بهذه النظرية عند هؤلاء المتقدمين . «فابن جنى كان على إدراك واضح بهذا الجانب ، فعرض له فى أكثر من موضع ، منها ما قرر فيه أن المعانى قد لا يوصل إليها ، إلا بالظروف التى أحاطت بها ، ومن ثم لا ينبغى أن يكتفى اللغوى بالسماع ، بل ينبغى أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة أى يحيط بظروف الكلام »[1] ، « ولهذا الموضع نفسه ما توقف أبو بكر عن كثير مما أسرع إليه أبو إسحاق (الزجاج) من ارتكاب طريق الاشتقاق ، وأصبح (ابن السراج) أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ، ولم ندر ما حديثها ، ومثل له بقولهم (رفع عقيرته) إذا رفع صوته : قال له أبو بكر : فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جدا ، وإنما هو أن رجلا قطعت إحدى رجليه ، فرفعها ووضعها على الأخرى ، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته ، فقال الناس : رفع عقيرته ، أى رجله المعقورة ، فقال له أبو إسحاق : لست أدفع هذا ، ولذلك قال سيبويه فى نحو من هذا ، أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ، يعنى ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل » « فليت شعرى إذا شاهد أبو عمر وابن أبى إسحاق ، ويونس ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه ، وأبو الحسن ، وأبو زيد ، وخلف الأحمر ، والأصمعى ، ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها ، وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات »[2] ويؤكد إدراك ابن جنى لسياق الحال ما ذكره فى موضع آخر حيث يتناول العوامل التى تؤثر فى المعنى ، كالنبر ، والتنغيم ، والاستعانة بإشارات من الوجه أو اليدين أو غير ذلك » ، فيقول : « وقد حذفت الصفة ، ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل ، وكأن هذا

(١) فقه اللغة فى الكتب العربية ، د : عبده الراجحى ، ص ١٦٧ .

(٢) الخصائص ، ابن جنى ، ١ : ص ٢٤٨ .

إنما حذفت الصفة لما دل من الحال على مواضعها ، وذلك أنك تحس من كلام القائل من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقول مقام قوله : طويل أو نحو ذلك »[1] .

« وتقول : كان والله رجلا ! فتريد من قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أى رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك ، وكذلك تقول : سألته فوجدته إنسانا : وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه ، فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك وكذلك إن ذممته وصفته بالضيق ، فقلت : سألناه وكان إنسانا ! وتزوى وجهك وتقطبه ، فيعنى ذلك عن قولك : إنسانا لئيما أو لجزا أو مبخلا أو نحو ذلك »[2] .

والحق أن ابن جنى فى مباحثه عن سياق الحال جاء بما وجدناه عند المحدثين فى صدد هذه النظرية ، ولكن لابد من التنبيه على أن ابن جنى كان مستفيدا من آراء سابقيه من علماء العربية ، وما رده فى ابن جنى لا يبعد عما نبه عليه الجاحظ فى البيان والتبين فى نصائحه للخطيب أو الواعظ ، وهذا أمر ثابت فى علم البلاغة ، وليس هنا مجال الحديث عنه ، « ونحن نعلم أن العرب اهتموا اهتماما كبيرا بقضية المعنى لأنه يتصل بالأصل الذى صدرت عن حركتهم العقلية كلها مما نعلمه فى كتب التفسير والأصول والفقه ، والشروح المختلفة التى وضعوها للفن القولى شعره ونثره ، أو غير ذلك من الجوانب التى تمس ظروف الكلام من قريب ، فإن دراستهم على المستوى الدلالى لم تكشف عن منهج واضح »[3] .

ومهما يكن من أمر فعلماؤنا الأجلاء كان لهم السبق فى هذا المضمار الذى نحن بصدده ، ولم يغفلوه ، واهتموا به اهتماما كبيرا فى سائر العلوم العربية .

- دور سياق الحال فى تحديد الزمن النحوى :

المشهور عند نحاه العربية أن الأزمنة ثلاثة : الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ، بيد أن هذا التصور الزمنى لا ينطبق على ما جاء بصيغة الماضى أو المضارع ، ولذلك نجد

(١) السابق ، ١ : ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢) الخصائص ، ١ : ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٣) فقه اللغة فى الكتب العربية ، ص ١٦٩ .

هؤلاء النحاة يتردد عندهم القول : هذا ماض لفظا ومستقبل فى المعنى ، هذا مضارع مقلوب زمنه إلى الماضى ، هذا ماض محكى على الحال ، وهذا ماضٍ فى موضع المستقبل ، وهذا مضارع بمعنى الماضى ، مجمل القول فى هذا الأمر أن الصيغة وحدها غير قادرة على تحديد الزمن ، ويبقى التحديد راجعا إلى السياق ، ونحاة العرب فى مباحثهم هذه كانوا يخالفون بين الإعراب ودلالة الزمن النحوى ، فالفعل الماضى يظل فعلا ماضيا فى الإعراب ، والمضارع مثل ذلك ، وإن اختلف الزمن النحوى لكلا الفعلين ، فهذا لا يعنى الاختلاف فى الإعراب ، فالإعراب ثابت للفعلين ، ودلالة الزمن منتقلة .

- نماذج للزمن النحوى المفهوم من سياق الحال :

١) التعبير بالمستقبل بلفظ الماضى :

« من عوارض الفعل المسند أن يصرف عن زمانه ، إما بآلة كحرف الشرط ، نحو : إن أعطيتنى اشكرك ، وإما بغير آلة كما عبر عن المستقبل بلفظ الماضى تنزيلا لما هو متحقق الوقوع كالواقع ، وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾ الزمر/ ٦٨ ،

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ الكهف / ٤٨ ،

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ ﴾[1] الأعراف / ٤٨ ،

« وكما يعبر عن الماضى بلفظ الحال استحضارا للحال الماضية كقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فاطر/٩ ، قال : فتثير ولم يقل : فأثارت ، استحضارا لتلك الصورة »[2] .

٢) الزمن النحوى وكان الناقصة :

لقد بحث نحاة العربية هذا الموضوع ، ولكننى رأيت أن أوجز مباحثهم هذه من

(١) الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة ، محمد بن على بن محمد الجرجانى ، ص ٧٠ .
(٢) السابق ، ص ٧٠ .

كتاب البرهان فى علوم القرآن حيث إن بحث الزركشى تناول معظم آراء العلماء فى دلالة كان على الزمن النحوى ، وذلك على النحو التالى :

١) تفيد الانقطاع لأنها فعل يشعر بالتجدد .

٢) لا تفيده ، بل تقتضى الدوام والاستمرار .

٣) عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام ، وليس فيه دليل على عدم سابق ، ولا على انقطاع طارئ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ ، وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : ﴿ أخرجت للناس ﴾ .

٤) أنها حيث وقعت فى صفات الله فهى مسلوبة الدلالة على الزمان .

٥) كان بمعنى مازال ، ويستعمل أحدهما فى معنى الآخر مجازا بالقرينة .

ويقول أبو بكر الرازى : كان فى القرآن على خمسة أوجه :

١- بمعنى الأزل والأبد : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء / ١٧٠ .

٢- بمعنى المضى المنقطع : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ النمل / ٤٨ .

وهل الأصل فى معانى (كان) .

٣- بمعنى الحال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ آل عمران / ١١٠ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ النساء / ١٠٣ .

٤- بمعنى الاستقبال : ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ الإنسان / ٧ .

٥- بمعنى (صار) : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] البقرة / ٣٤ .

وللسيرافى رأى فى كان الدالة على الاستمرار يخالف به جمهور العلماء ، يقول السيرافى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الأحزاب / ٧٣ ، قد يرجع الانقطاع بالنسبة للمغفور لهم والمرحومين بمعنى أنهم انقرضوا ، فلم يبق من يغفر له ، ولا من يرحم

(١) البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، ٤ : ص ١٢٢ ، وما بعدها .

فتنقطع المغفرة والرحمة[1] » والرأى عندى فى ذلك يوافق مذهب جمهور العلماء ، فكان مع صفات الله تتجرد من الزمن الماضى ، وتصبر دلالتها إلى الدوام والاستمرار ، ولكن الزمن هنا مفهوم من السياق لا من لفظ كان .

ويقول المرتضى فى أماليه : ومما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضى فى موضع الحال والاستقبال قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ المائدة / ١١٦ ، ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ الأعراف / ٥٠ ، وقولهم فى الدعاء : « غفر الله وأطال بقاءك » ومعنى الكل : يفعل الله ذلك بك : إلا أنه لما أمن اللبس وضع لفظ الماضى فى موضع المستقبل » ومنه قول الشاعر :

فأدركت من قد كان قبلى ولم أدع ... لمن كان بعدى فى الفضائل مقعدا

أراد لمن يكون بعدى »[2] .

- المستقبل لفظا والماضى معنى :

« ومما جعلوا فيه المستقبل فى موضع الماضى قول الشاعر :

فإذا مررت بقبره فاعقربـــه ... كوم المطى وكل طرف سابع

وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخادم وذبائـــح

معناه : فلقد كان »[3] .

والحق أن نحاة العربية كانوا على إدراك تام لدلالة السياق على الزمن النحوى ، ويتضح هذا من هذا النص ، قال ابن الشجرى فى أماليه ، قال أبو الفتح عثمان بن جنى ، قال أبو على : سألت يوما أبا بكر بن السراج عن الأفعال يقع بعضها موقع بعض ، فقال : كان ينبغى للأفعال كلها أن تكون مثالا واحدا لأنها لمعنى واحد ، ولكن خولف بين صنيعتها لاختلاف أحوال الزمان ، فإذا اقترن بالفعل ما يدل عليه من

(١) السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) أمالى المرتضى ، ٤ : ص ١٠٩ .

(٣) السابق ، ٤ : ص ١٠٩ .

لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض ، قال أبو الفتح : وهذا الكلام من أبى بكر عال سديد »[١] .

ويقول الرضى عن القرينة المحددة للزمن : الاستمرار والدوام فى قوله تعالى ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ وما يشابهه مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعا بصيرا لا من لفظ كان »[٢] .

علماء اللغة الغربيون وسياق الحال :

«على الرغم من أن علماء اللغة قديما ، وعلماء اللغة العربية على وجه الخصوص قد أدركوا أهمية السياق ودوره فى الحدث اللغوى ، بل إن فكرة السياق ودلالته على المعنى الحقيقى كانت مطروحة فى الفكر الإنسانى منذ إفلاطون وأرسطو وعلماء البلاغة العرب إلا أن الفضل فى إعادة الحياة إلى هذه الفكرة يعود إلى فيرث وقد تأثر فى وضعه لهذه النظرية بنظرية العالم البولندى مالينوفسكى الذى صادف العديد من الصعاب في ترجمة بعض آداب الشعوب البدائية ، ووجد من الضرورى وضع الكلمات فى سياقها Context of sitiuation الذى استخدمت أو نطقت فيه »[٣] .

« وسياق الحال عند فيرث يمثله العالم الخارجى عن اللغة بماله من صلة بالحدث اللغوى ، وفى الظروف الإجتماعية والبيئية النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين فى الكلام ، « والساميات على وجه العموم لم تعرف صيغة الماضى التام والماضى الناقص بعكس اللغات الهند وأوربية الذى نجد فيها قبل هذا التركيب ، فنجد فى الإنجليزية (Pas+) ، وزمن (past perfect) ، وفى الفرنسية : passe commpése ، وفى الفارسية (الماضى القريب) ، و (الماضى البعيد) ، ولكن هذا لا ينفى أن الفروق المختلفة

(١) السابق ، ٤ : ص ١٠٩ .

(٢) شرح الكافية : الرضى ، ٢ : ص ٢٩٣ .

(٣) العربية وغعلم اللغة النبوى ، دك حلمى خليل ، ص ١٣٣ ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، د: السعران ، ص ٢٥٣ .

وينظر : Malnowiski, bromislow, The problem of meaming inprimitive Langugeas. supplement I in C. K. odgen and I. A. Richards. "The meaning of meaning" New York. 1973 P. 306.

(٤) العربية وعلم اللغة النبوى ، د: حلمى خليل ، ص ١٣٥ .

للأزمنة الماضية من حيث زمن وقوعها وترتيبه تعرف بدراسة الأسلوب نفسه ، ومن سياق الكلام ، ودراسة النظم المختلفة لتركيبه[1] » .

٣) الزمن النحوى فى العربية واللغات الاخرى :

الزمن النحوى العربى : ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، وإن لم يتحدد بالصيغة فالقرائن كفيلة بتحديده ، وتنبه لذلك علماء اللغة المحدثون، فرأوا أن الزمن النحوى فى العربية أقل بكثير عن اللغات الأخرى ، وبخاصة الفرنسية ، «ولذلك يصرح فندريس فى كتابه اللغة بأن الفرنسية دقيقة فى تعيين الأزمان المختلفة فهى لا تكتفى بأقسامه الثلاثة الماضى والمضارع والمستقبل ، بل هى قادرة على تعيين الماضى فى المستقبل ، والمستقبل فى الماضى ، ولكنه أخذ على لغته أنها لا تهتم بالتعبير عن صفة الحدث Aspect بعكس الساميات التى تهتم بصفة الحدث ، ولا تهتم بالدقة فى تعيين الزمن »[2] .

وإلى هذا أشار وليم رايت ، فقد قال : « ولا يوجد فى اللغة العربية إلا صيغتان للفعل الأول تعبير عن حدث انتهى ، وتم بالنظر إلى الأحداث الأخرى ، وهذا هو الماضى ، والصيغة الثانية تعبر عن حدث قد ابتدأ ولم ينته بعد ، وهو المضارع »[3] .

ونظرة وليم رايت هنا متوجهة إلى نظرة الكوفيين للفعل العربى ، وقد استمدها منهم ، فالفعل عندهم كما هو منصوص عليه ماض ومضارع ، والأمر جزء من المضارع . ويذهب هنرى فليش إلى أن « تصريف العربية لا يحتوى سوى زمانين ، وإلى أن الفعل العربى قائم لا على الزمن بل على الصورة أو الشكل ، وأن العربية لفة صورة ترتبط بدرجة تحقق الحدث أو القضية فتعبر عن الأول بصيغة ذات اللواحق : فعل ، وتعبر عن الثانى بصيغة ذات السوابق يفعل ، وأقر بأنها تعتنى بوصف الحدث كالبدء ، والاستمرار أو الانتهاء ، وهذا متحقق فى بناء الجمل كما أنه متحقق فى ترتيب الجملة فيما بينها » ويقر أيضا بأن أصحاب العربية كانوا يضعون عباراتهم فى نطاق الزمن ، وإذا كان الفعل قد خصص للتعبير عن الصورة ، فإن الزمن ينبع من الجملة ،

(١) Brackelmann, présis, de limguistiqus sémitique. traduit par Marcais et oahen, P. 149 (paris 1910).

(٢) اللغة ، فندريس ، ص ١٣٥ وما بعدها ، النواسخ الفعلية والحرفية ، د: سليمان ياقوت .

(٣) William Wrighi, A. gra nnerof Arabic Lang wage V. 1, p. 51 . London , 1874

وقد عبر عنه استطرادا بواسطة العناصر المختلفة فى الجملة ماخلا الفعل ، وذلك دون نظام ثابت »[1] .

وبعد أن عرضنا فكرة الأسناذ هنرى فليش نحاول تحليلها على النحو التالى :

(١) فكرته عن الفعل العربى تتحدد فى أن للفعل العربى زمانين ، لأنه ارتضى تقسيم الفعل بالنسبة للحدث والزمن إلى قسمين : الماضى ، والمضارع ، وتلك هى نظرة نحاة الكوفة لأقسام الفعل ، وقد وضع الأستاذ مصطلحين : التام وغير التام ورآهما بديلين للماضى والمضارع فالمهم لديه هو التقسيم بالنسبة للزمن ، فالتام يعنى أنتهاء الحدث ، وغير التام عكس هذا .

(٢) تقسيمه للزمن فى العربية يغاير التقسيم المشهور لدى نحاة العربية ، فأقسامه عندهم: الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ، لكن الأستاذ اعتبر الحاضر والمستقبل يندرجان تحت غير التام ، وهذا صحيح ، فكلاهما لم ينته الحدث فيهما ، والتام خلاف ذلك .

(٣) قوله : إن الزمن ينبع من الجملة يجرى مع نظرية سياق الحال ، وقوله هذا صحيح ، فالزمن لا يتجدد بصيغة الكلمة فحسب ، لكن هناك أمر خارجى كما يقول نحاة للعرب . يحدد الزمن ، وقد ذكرنا هذا فيما سبق واستشهدنا له .

الأزمنة فى بعض اللغات الهندوأوربية :

(١) اللغة الفارسية :

أقسام الماضى[2] :

(١) الماضى المطلق أو التام : هو الذى يدل على حدث فى الزمن الماضى ، وانتهى تماما سواء حدث منذ وقت قريب أو بعيد .

تكوينه : يتكون من ثلاثة أركان أساسية :

(أ) الضمائر الشخصية : من ، ما ، تو ، شما ، أو ، ايشان .

(١) العربية الفصحى ، هنرى فليش ، ص ١٣٦ وما بعدها .

(٢) اللغة الفارسية ، قواعد ونصوص ، د: خليل عبد المجيد أبو زيادة ، ص ١٠٢ وما بعدها .

(ب) المصدر المرخم من المصدر المراد تصريفه فى الماضى .

(جـ) النهايات (ضمائر الفاعلية) : م ، ى ، يم ، يد ، ند .

ومثاله : ديرو زيد **اشگاه** رفتم : ذهبت بالأمس إلى الجامعة

(٢) الماضى الناقص أو الاستمرارى[١] (ماضى ناتمام يا استمرارى) : هو الذى يفيد معنى التعود أو استمرار الحدث الـذى يدل عليه الفعل ، وأحيانا يستعـمل الماضى الاستمرارى فى موضع التمنى والـرجاء مثل : كاش پدرم ازسفر **برميگشت** : ياليت أبـى يرجع من السفر .

تكوينه : هناك طريقتان لتكوينه :

أ) تضاف (مى) أو (همى) قبـل الماضى المطلق : ميخواندم : كنت أقـرأ ، مينوشتم : كنت أكتب .

ب) زيـــادة (ى) إلى آخـر الماضـــى المطـلق : بـدلا من (مى) أو (هـمى) ، ويسـمى بالماضـــى الاستمرارى الناقـص لأنه لا يستعمل مع جـماعة المتكلمـين ولا جماعة المخاطبين .

(٣) الماضى القريب (ماضى قريب يانقلى) ، هو الذى يدل على حدث حصل فى الزمن الماضى ، ولكنه لم يـنته تماما أو مازال أثره مستمرا حتى الوقـت الحاضر ويستخدم فى موضعين :

(أ) أمر حدث فـى الزمن الماضـى القريب ، ومـازال مستمـرا حتى الآن ويسـمونه بالماضى القريب ، مثل : من ابيشا ده ام : وقفت منذ فترة وجيزة ومازلت واقفا .

(ب) أمر حدث إنتهى ، مثل : محمد به درس رفته است ، ومن بطنطا رفته ام .

تكوينه : يتكون من المصدر المرخم ثم نضيف إليه هاء صامته ، فيتكون ما يعرف باسم (المفعول) ثم نضيف إليه النهايات ، وهى الرابطة المرخمة : (ام ، أى ، است ، ايم ، ايد ، اند) .

(٣) الماضى البعيد[٢] : هو الذى يدل عـلى حدث حصل فى الـزمن البعيد عـن الزمن

(١) اللغة الفارسية ، قواعد ونصوص ، د: خليل عبد المجيد أو زيادة ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢) السابق ، ص ١٠٧ .

الحالى ، ويدل على حدث سبق آخر فى الزمن الماضى ، ولهذا يطلق عليه اسم الماضى المتقدم (ماض مقدم) .

تكوينه : نأتى أولا باسم المفعول من المصدر المراد تصريفه فى الماضى البعيد ثم نضيف إليه تصريف المصدر (بورن) فى الماضى المطلق ، ومثاله : شيرين ديروز ببازا رفته بود : بالأمس كانت شيرين قد ذهبت إلى السوق .

(٤) الماضى الالتزامى[١] : هو الذى يفيد حدثا فى الماضى فى حالة الشك والتردد ، أو فى حالة الطلب أو التمنى أو الالزام .

تكوينه : نأتى باسم المفعول من المصدر المراد تصريفه ثم نضيف إليه المضارع الالتزامى من فعل الكينونة (يودن) ، (باشم ، باشى ، باش ، باشيم ، باشيد ، باشند) ، مثل : شايد نعته باش : من الجائز أن يكون قد ذهب ، كاشى آمده باشد : لعله كان قد أتى .

المضارع[٢] وينقسم إلى :

(أ) المضارع الإلتزامى : وهو الذى يدل على حدث فى الزمن الحالى أو المستقبل ، مثل : شايد حسن برود : من الجائز أن يذهب حسن .

تكوينه : نأتى أولا بالمادة الأصلية ثم نضيف ضمائر الفاعلية ، فالمادية الأصلية من (رفتن) = رو ، ويصير مع ضمائر الفاعلية : روم ، روى ، رويد ، روند .

(ب) المضارع الإخبارى أو الحال : يدل على حدث فى الحال أو المستقبل كما يدل على معنى التعود والاستمرار فى الزمن الحالى .

تكوينه : تسبق (مى ، أو همى) تصريف المضارع الإلتزامى متصلة أو منفصلة ، مثل : من روم : أذهب ، من روى : تذهب ، مى رويم : نذهب ، مى رويد : تذهبون ، من روند : يذهبون .

---

(١) السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) اللغة الفارسية ، قواعد ونصوص ، د: خليل عبد المجيد أو زيادة ، ص ١١١ - ١١٣ .

المستقبل:[1] هو الذى يدل على حدث يحصل فى المستقبل .

تكوينه : نأتى أولا بتصريف المضارع الالتزامى للمصدر (خواستن) : خواهم ، خواهى ، خواهد ، خواهيد ، خواهند ، ثم تضيف المصدر المرخم من الفعل المراد تصريفه مثل : من خواهم رفت : سوف أذهب ، توخواهى رفت : سوف تذهب ، أو خواهد رفت : سوف يذهب ، ماخواهيم رفت : سوف نذهب ، شما خواهيد رفت : سوف تذهبون ، ايشان خواهيد رفت : سوف يذهبون ، ومن أمثلته : دوستم بامن خواهد آمد : سيأتى صديقى معى ، من فردا بكنا يهخافه خواهم رفت : سأذهب غدا إلى المكتبة .

(٢) اللغة الإنجليزية :

والأزمنة فى الإنجليزية تنقسم إلى : الماضى والمضارع والمستقبل ، ولكن لا يعتبر الأخير وأقسام الماضى (past) هى :

أ) الماضى البسيط : past simple : . Haydn was born in 1732 .

ب) الماضى التام : (The past perfect) :

The house had been empty for several months (when I bought it).

The goalkeeper had injured his leg, and could'nt play.

They tell me that the parcel has already arrived

had arrived on April 15th.

had already arrived

arrived on April 15th.

جـ) الماضى المستمر : (The past progressive)

He was listening to the news when I entered.

المضارع : وأقسامه هى :

١) المضارع البسيط : (Present simple)

(١) السابق ، ص ١١٤ - ١١٦ .

Bremner passes the ball to Lorimer.
He works in London every day.

٢) المضارع التام : (Present perfect)

The taxi has arrived.
All my family have had measles (in the last year).
That house has been empty for ages.

٣) المضارع المستمر : (Present progressive)

I have been mending the car this morning.
I can see someone through the window, but I can't hear what they're saying.

٤) المستقبل : (Future time)

If you press this button, the door will slide back.
I'll meet you at the station.

٥) المستقبل فى الماضى : (The future in the past)

They were just going to punish him, when he escaped.

٦) الماضى فى المستقبل : (The past in the future)[١]

Tomorrow Jean and Ken will have been married twenty years.

وقد عرض الدكتور إبراهيم أنيس للأزمنة فى الإنجليزية فى أسرار اللغة وبذلك على النحو التالى [٢] :

(١) قبل الماضى : I agreed to all that he had done.

(٢) الماضى : I visited London with my father.

(٣) بعد الماضى :

She gave birth to a son who was to gave her agreat anxiety.

(١) A Communicative Gramner of English, Geoffrey Leech Jan. Svartvik, p. 63, 73.

(٢) من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، ص٢٠٨ .

(٤) الحاضر : He is a sleep lead is heavy.

(٥) قبل المستقبل : When hje comes, I shall have finished writing.

وواضح من هذه الأمثلة والتقسيمات للزمن فى الإنجليزية أنه متعدد محدد وقته . بواسطة أدوات معينة فى الجملة الإنجليزية نستطيعه من نظام الجملة أن نتعرف على الزمن .

(٣) اللغة الفرنسية :

اللغة الفرنسية غنية بالتقسيمات الزمنية ، وهى تهتم اهتماما كبيرا بتعين أو تحديد وقته ، وأزمنة الصيغة الأخبارية : (Le mode indicatif) هى :

Futur simple, passé simple, imparfait, present, plus que parfait, passé recen, passé composé future, futur prochair, futur anterieur.

والأزمنة المذكورة فى الصيغة الأخبارية ، وهناك أزمنة فى الصيغة الأمرية (le mode imperatif) وأخرى فى صيغة الشك [١] (le mode subjonetif) .

الأزمنة فى الفرنسية :

(١) المستقبل البسيط : (Future simple)

La semaine prochain, Mes amis viend-ont au Caire.

سيأتى أصدقائى من القاهرة فى الأسبوع القادم .

(٢) المستقبل القريب : (Future proche)

Je vais aller au cinéma aujaurd'hui سأذهب للسينما اليوم

(٣) المستقبل الأسبق : (Future antérieur)

(٤) الماضى المركب : (Passé compose)

Hier, Mon ami est allé au théâtre ذهب صديقى إلى المسرح بالأمس .

(١) من مناهج البحث فى اللغة ، د. تمام حسان ، ص .

(٥) الماضى الناقص : (l'imparfait)

Hier, il fais ait chaud (كان الجو حارا بالأمس)

Hier, j'étais fatigué (كنتب متعبا بالأمس)

(٦) الماضى الأتم : (Plusque - parfait)

Le train avait quité sonquai, il a héurté la vaiture.

(ترك القطار الرصيف ، تصادم مع العربة) .

(٧) الماضى الحديث : (Passé recent)

Je viens de prendue l'avion. (أننى بالكاد أخذت الطائرة)

(٨) مضارع الشك : (Subjonetif présent)

يعبر عن أمنية أو الشعور والإحساس ، ولابد من أن يكون فى الجملة فاعلان) .

Je souhaite que tu sais á l'examen. أنا أتمنى أنك تكون

(٩) المضارع الشرطى : (Conditionnol present)

يستخدم عند طلب شئ بأدب واحترام ، مثل :

Je voudrais visiter mon ami qui est malade

اننى اتمنى زيارة صديقى المريض

(١٠) الأمر : (Imperatif)

يصرف الفعل فى المضارع ، ثم تخذف هذه الضمائر :

Allons à l'école فلنذهب إلى المدرسة .

Fais ton devair اكتب واجبك

نتائج البحث

بعد محاولتنا للتعرف على الزمن فى العربية الذى يعد من القضايا الهامة فى الدرس النحوى تعرض لنتائج البحث على النحو التالى :

(١) قضية الزمن النحوى من القضايا الهامة فى الدرس النحوى ، ولذا تصدرت فى بحوث النحاة منذ سيبويه ، فهو يبدأ حديثه فى الكتاب عن أقسام الكلم فى العربية وعن الاسم والفعل والحرف ، فالأول ما لا يقترن بزمن ، والثانى يدل على الحدث والزمن ، والثالث ، لا يأخذ من علامات هذا ، ولا ذاك ، وقد جرى النحاة على هذا التقسيم واستقر فى الدرس النحوى عند النحاة جميعهم إلا ابن صابر الذى أضاف قسما رابعا سماه الخالفة ، وقصد به أسماء الأفعال فى الرأى البصرى أو الأفعال فى الرأى الكوفى .

(٢) تقسيم النحاة الكلمة إلى اسم وفعل وحرف تقسيم عقلى لا يدل على تأثرهم بأرسطو ، والفعل عند أرسطو الدال على الزمن الحالى فحسب ، أما الفعل فى الماضى أو المستقبل فليس فعلا ، ولكنه زمن للفعل ، وهذا مخالف لتقسيم سيبويه والنحاة من بعد . فالتقسيم عندهم مغاير لتقسيم أرسطو ، فالبصريون يقسمونه إلى : ماض ، ومضارع ، وأمر وبحسب الزمان : ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، والكوفيون يقسمونه إلى : ماض أو مضارع ، والأمر عندهم مقتضب من المضارع ، وبحسب الزمن كما يرى الفراء : ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، ودائم (اسم الفاعل) ، وقد كان الفراء ناظرا إلى دلالة الدوام والاستمرار فى اسم الفاعل ، وهذا يشاكل الدلالة فى المضارع ، فالفراء نظر إلى الدلالة المعنوية ، والبصريون ينظرون إلى الدلالة الشكلية فى الحركات والسكنات .

(٣) تقسيم النحاة يشير إلى الزمان الفلسفى Tense ، وليس الزمن Time اللغوى ، والواقع أن الدرس اللغوى يثبت أزمنة أخرى غير هذه الأزمنة التى ذكرها نحاة البصرة أو التى زاد فيها الفراء .

(٤) حديث النحاة عن صحة وقوع الماضى خبرا للنواسخ الفعلية وخبر للحرف (لعل) ، ووقوع المضارع خبرا لأفعال المقاربة ، كل ذلك يرجع إلى استقامة المعنى ،

والاتساق الدلالى بين كلمات التركيب ، لذا فهم يراعون اختيارها وتوزيعها فى المواقع التركيبة .

(٥) أقسام الزمن فى اللغات الهندو أوربية حسب الصيغة والتركيب تفوق أقسام الزمن فى الساميات ومنها العربية ، وباعتبار الزمن المستمد من السياق فالزمن فى العربية يفوق الأزمنة التى حددها النحاة .

(٦) الزمن النحوى فى العربية محدد بالسياق أو بالقرائن ، ولا تفى صورة الفعل بتحديده ، فهناك عناصر أخرى يتحدد بواسطة الزمن النحوى إن لم يتحدد الصيغة .

(٧) قول النحاة (نحاة البصرة) بأن سوف أكثر تنفيا فى المستقبل من السين قول مردود لأننا نجد السين تستعمل استعمال سوف وتحمل نفس الزمن الذى تحمله سوف ، وتتبادل السين وسوف فى المعانى الواحدة ، وواضح ذلك من الاستعمال اللغوى فى القرآن الكريم والكلام العربى .

(٨) هناك أفعال فى العربية يمكن أن نطلق عليها الأفعال المركبة ، كأفعال المقاربة (أفعال المقاربة ، الرجاء ، الشروع) ، (النواسخ الفعلية) = (كان وأخواتها) . وقد لاحظنا التوافق الزمنى بين الفعل الناسخ وخبره المضارع فى أفعال المقاربة . والأمثلة التى يمكن أن تأتى من تركيب أفعال المقاربة على النحو التالى :

كاد يفعل = (الماضى القريب من الحال) ، لوجود الناسخ ماضويا ، والخبر (المضارع) . طفق يكتب = (الحال) ، لأنه من أفعال الشروع .

عسى أن يكتب = (الاستقبال) ، لأنه للرجاء .

عسى يكتب = (الاستقبال) ، لأنه للرجاء .

يكاد يذهب (الحال) ، لوجود الناسخ مضارعيا ، والخبر مضارعيا .

كان ذهب = (الماضى البعيد) أو القريب ، والأكثر للبعيد ، ويرجع ذلك إلى السياق .

كان قد ذهب = (الماضى القريب من الحال) .

كان يذهب = (الاستمرار فى الماضى) .

« وكان الله عليما حكيما » = الا تدل على زمن معين ، وتدل على الدوام مع صفاته سبحانه وتعالى .

كان سيذهب = (المستقبل فى الماضى) .

(٩) دلالة (كان وأخواتها على الزمن متفق عليه بين النحاة ، والخلاف واقع فى الدلالة على الحدث .

(١٠) الزمن النحوى فى العربية له دوره فى تحديد التركيب النحوى من حيث الشكل والإعراب .

(١١) نحاة العربية فهموا الزمن النحوى من السباق ، وكانوا يقولون بالقرينة أو المقام أو مقتضى الحال ، فهى عوامل خارجية تحدد الزمن النحوى ، والصيغة لا تكفى فى تحديد الزمن النحوى ، وقد ذكرنا كثيرا من الأمثلة الدالة على ذلك فى هذا البحث .

المصادر والمراجع

* الدكتور إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠م .
* الألوسى : روح المعانى ، ت : محمد حسين العزب ، دار الفكر .
* ابن الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ، ت : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة . البيان فى غريب إعراب القرآن ، ت : د/ طه عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السقا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .
* الدكتور تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٥م .
* ابن جنى : الخصائص ، ت : محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨٦م .
* الدكتور حلمى خليل : العربية وعلم اللغة البنيوى ، دار المعرفة ١٩٩٦م .
* خالد الأزهرى : شرح التصريح بمضمون التوضيح ، عيسى الباب الحلبى .
* الدكتور خليل عبد المجيد أبو زيادة : اللغة الفارسية (قواعد ونصوص) ، ١٩٩٣م .
* الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث .

* الزمخشري : الكشاف ، دار عالم المعرفة .

* الدكتور سعيد بحيري : عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩م .

* سيبويه : الكتاب : ت : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٨٨م .

* السيرافي : شرح كتاب سيبويه ، ت : د/ رمضان عبد التواب ، د/ محمود فهمي حجازي ، د/ محمد هاشم عبد الدايم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

* السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ت : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية . همع الهوامع ، مطبة السعادة (محمد أمين الخانجي) ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ بمصر والأستانة .

* عباس حسن : النحو الوافي ، ط ١ دار المعارف .

* عبد القاهر الجرجاني : المقتصد في شرح الإيضاح ، ت : كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد ١٩٨٢ .

* الدكتور عبده الراجحي : دروس في المذاهب النحوي ، دار المعرفة ١٩٨٨م .

فقه اللغة في الكتب العربية ، دار المعرفة ١٩٩٢م .

* ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الألفية ، ت : طه الزيني ، محمد علي صبيح ١٩٦٩م .

* العكبري : إملاء ما من به الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

* ابن فارس : فقة اللغة ، المكتبة السلفية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٢٨هـ .

* الفراء : معاني القرآن ، ت ، ومراجعة أ. محمد علي النجار ، دار السرور .

* فندريس : اللغة .

* القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

* الكفراوي : الكواكب الدرية على متممة شرح الآجرومية ، عيسى البابي الحلبي .

* محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، ت : د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر .

* الدكتور محمود السعران : علم اللغة ، دار الفكر العربى ، ط١ ١٩٩٧م .

* الدكتور محمود عبد السلام شرف الدين : الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، دار مرجانة للطباعة ط٤ ١٩٨٤م .

* المرتضى : أمالى المرتضى ، ط أحمد ناجى الجمالى ، محمد أمين الخانجى ، ط١ ١٩٠٧م .

* ابن هشام : مغنى اللبيب ، ت : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط محمد على صبيح . شرح قطر الندى وبل الصدى ، ت : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ١٩٩٢م .

* ابن الناظم : شرح ابن الناظم للألفية ، ت : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت .

* ابن يعيش : شرح المفصل ، طباعة المنيرية .

المراجع الأجنبية

- Brockelmann, Précis de linguistique semitique, Traduit par Marcais & cohen, Paris 1910.
- Malinowski Bronislaw. The problem of meaning in primitive language. Supplement, in C.K. Odgen. & I.A. Richards, The meaning of meaning. New York, 1923.
- W. Wright, A grammer of the Arabic language. Translated from the Germen of Gaspri, London, 1875.